الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة – د.الطاهر مولاي

كلية الآداب و اللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص لسانيات عامة

أثر النحو في تفسير القرآن الكريم
نماذج تطبيقية آيات قرآنية

إعداد الطلبة:

– بغاوي خليفة

– ياحي عبد المجيد رياض

إشراف الأستاذ:

– د. كريم بن سعيد

الأستاذ الدكتور	زحاف جيلالي	رئيسا
الأستاذ الدكتور	بن سعيد كريم	مشرفا و مقررا
الأستاذ الدكتور	تامي مجاهد	مناقشا

السنة الجامعية:

1442هـ/1443هـ

2021م/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إهـــــداء

أهدي هذا العمل إلى من قال فيهما

" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "سورة الإسراء الآية 24

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما ،

إلى الإخوة والأخوات ، إلى كل الأهل والأقارب ،

إلى جميع الأصدقاء،

إلى كل من عرفته من قريب أو بعيد،

إلى من رفعوا رايات العلم والتعليم

أساتذتي الأفاضل،

إلى كل من سقط سهوا من قلمي ولم يسقط من قلبي.

عبد المجيد

إهـــــداء

أهدي هذا العمل إلى من قال فيهما

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "سورة الإسراء الآية 24

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما ،

إلى الإخوة والأخوات ، إلى زوجة، إلى الأولاد ، إلى كل الأهل والأقارب ،

إلى جميع الأصدقاء،

إلى كل من عرفته من قريب أو بعيد،

إلى من رفعوا رايات العلم والتعليم

أساتذتي الأفاضل،

إلى كل من سقط سهوا من قلمي ولم يسقط من قلبي.

خليفة

شكر و عرفان

بعد أن من الله علينا بإنجاز هذا العمل ، فإننا نتوجه إليه الله سبحانه وتعالى أولا بجميع ألوان الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي غمرنا به فوفقنا إلى ما نحن فيه راجين منه دوام نعمه وكرمه ، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله "،فإننا نتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف " د.بن سعيد كريم " ، على إشرافه على هذه المذكرة وعلى الجهد الكبير الذي بذله معنا ، وعلى نصائحه القيمة التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذه الدراسة، فله منا فائق التقدير والاحترام ، كما نتوجه في هذا المقام بالشكر الخاص لأساتذتنا الذين رافقونا طيلة المشوار الدراسي ولم يبخلوا في تقديم يد العون لنا .

مقدمة

مقدمة:

لقد حظيت اللّغة العربيّة بشرفٍ عظيمٍ؛ فقد نزل بها القرآن الكريم على الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– الأمين، فزاد من شرف اللغة العربية أنّها كانت لغته –صلى الله عليه وسلم– ؛ التي مكّنه الله عز وجل منها أيّما تمكُّن وحيا، وعندما نتدبر القرآن الكريم نجد عدّة آيات تنصُّ على نزول القرآن عربياً، وهو شرفٌ لم تنله أيُّ لغة؛ أن تكون اللغة التي اصطفاها الله عز وجل لمخاطبة عباده.

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وحجة الله البالغة، أيّد الله عز وجل به رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو الخطاب الموجه لكل العقول، خصه الله سبحانه بحسن بيانه، وكان إعجازه في بيانه وجها من وجوه الإعجاز، تحدّى به العرب أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الرد عليه، لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه و تفسيره، وكل علم يتعلق بكتاب الله يُعد من أجلِّ العلوم، و أشرفها قدرا و أعلاها منزلة و أسماها مكانة.

و من هذه العلوم علم النحو، فمن غير المعقول أن يُقدِم شخص على تناول نص يجهل معناه، لذا كان من لوازم من يريد تفسير القرآن الكريم أن يكون عالما باللغة و علومها و منها النحو.

من هنا جاء موضوع البحث معنونا ب :" أثر النحو في تفسير القرآن الكريم "،

و لعلّ من أسباب اختيار هذا الموضوع هي:

أنَّ المذكرة تكملة في إطار تحضير رسالة تخرج ماستر.

خدمة كتاب الله عز وجل من خلال هذه الدراسة، و لارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم.

الميل الشخصي إلى هذا النوع من الموضوعات التي تجمع بين الدراسات اللغوية النحوية و القرآن الكريم.

الرغبة الشديدة في الكشف عن الجهود النحوية للمفسرين في خدمة القرآن الكريم و اللغة العربية.

و الإشكال المطروح في هذا البحث للإجابة عنه هو:

كيف أثر علم النحو في تفسير القرآن الكريم ؟ و هل تتغير معاني النصوص القرآنية بتعدد الأوجه الإعرابية ؟

وقد اعتمدنا على المنهج الاستقرائي التحليلي للإجابة عن هذا التساؤل وذلك من استقراء الكلمات التي اختلف النحويون في تحديد مواقعها الإعرابية، و تحقيقا لأهداف هذا البحث فقد اقتضت الضرورة تقسيمه إلى مقدمة و تمهيد و فصلين أعقبناهم بخاتمة ثم فهرس.

تناولنا في المقدمة عن اللغة العربية و ارتباطها بالقرآن الكريم من جهة العموم و التفسير من جهة الخصوص.

أمّا الفصل الأول فقد جاء بعنوان " ماهية النحو" و قد قسمناه إلى مبحثين:

في المبحث الأول تطرقنا إلى مفهوم النحو العربي و نشأته و مراحل تطوره والأصول التي بني عليها النحو، و خصصنا المبحث الثاني للحديث عن مختلف المدارس النحوية وخصائص كل مدرسة بشكل مقتضب.

أمّا الفصل الثاني جاء تحت عنوان: " تقاطع النحو بالمعنى و التفسير " وقد قسّمناه إلى مبحثين:

خصّصنا المبحث الأول للحديث عن أثر النحو في المعنى الذي يحمله النص القرآني على وجه الخصوص و النصوص الأخرى على وجه العموم.

أما المبحث الثاني فكان عبارة عن تطبيق، تناولنا فيه آيات من سورة التوبة و سورة يوسف –عليه السلام– و بيّنا فيهما تعدد الأوجه الإعرابية لبعض المفردات الموجودة في بعض الآيات من السور السابقة الذكر و المعنى الذي يحمله كل وجه من الأوجه الإعرابية و أعقبناه بتعليق شخصي.

أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها، و قد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري.
التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله العكبري.
الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني.
البرهان في علوم القرآن، الزركشي.

نهاية هذا البحث نشكر الله عز وجل الذي بنعمه تتم الصالحات، كما لا يفوتنا أن نشكر أساتذتنا الكرام و على رأسهم أستاذنا المشرف الأستاذ بن سعيد كريم و الحمد لله رب العالمين.

ياحي عبد المجيد رياض

بغاوي خليفة

سعيدة في: 2022/06/10

مدخل

ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم:

تُعدّ اللغة العربية من أرقى اللغات البشرية و أهمها، لما تبوّأته من مكانة رفيعة، ولما استمدته من شرف؛ كونها اللغة التي اصطفاها الله عز وجل من بين سائر اللغات، ليُنزِّل بها كلامه العظيم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[1].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: " فأقام حجته بأنه كتاب عربي "[2]،" وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه، ومستودعا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولا لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها: منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا، وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه"[3].

فكان الأولى بهذه اللغة من غيرها أن تكون لغة هذا الكتاب الخالد إلى يوم الدين، لما تتمتع به من سمعة وقدرة على حمل معانيه، التي لا يمكن تذوقها واستشعارها بعيدا عن هذه اللغة التي أُنزل بها، وقد اتصل الدين الإسلامي باللغة العربية اتصالًا وثيقًا في العصور الإسلامية جميعًا، وكان الدافع الرئيسي على اهتمام علماء اللغة بها دافعا دينيًا، وهو ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطلاب لغة العرب لغة القرآن، وقد شعر علماء العربية منذ القرن الهجري الأول بحاجتهم إلى تعلم العربية ومعرفة قواعدها، ومن ثم تعتبر معرفة لغة القرآن الكريم من أهم الأدوات لفهمه وتفسيره، ولا يصح فهمه وتفسيره إلا بطريق فهم اللسان الذي نزل فيه، فلذا يجب على المفسر أن يكون على معرفة تامة بقواعد اللغة العربية وأصولها ودلالتها، فكان حقا على من أراد فهم معانيه وإدراك مراميه، أن يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية، وإلاّ لا يقدر على شيء من ذلك [4].

---

[1]: سورة الزخرف/الآية:03.

[2]: محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1938م، ص:47.

[3]: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م، ج1، ص:39.

[4]: خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط2، 1968م، ص:138.

الفصل الأول: ماهية علم النحو

تمهيد:

يُعتبر النحو من أهم العلوم في دراسة القرآن الكريم، و يُعدُّ العلم الأهمَّ بينها، و تُعدُّ معرفته ضرورية على أهل الشريعة؛ لأنَّ مصدر الأحكام الشرعية كلُّها من الكتاب والسنة، و في هذا الفصل سنُحاول تقديم صورة واضحة المعالم عن هذا العلم.

المبحث الأول: مفهومية النحو

المطلب الأول: مفهوم النحو

أ-لغة:

ورد في معجم العين في باب النون مادة (نحا): " النَّحْوُ: القَصْدُ نَحْوَ الشّيء، نَحَوْتُ نحوه، أي: قَصَدْتُ قَصْدَهُ، وبَلَغنا أنّ أبا الأسودِ وضع وجوهَ العربيّة، فقال للناس: انحوا نَحْوَ هذا فسُمِّي نحوا "[1].

يقول ابن منظور (ت711ه) في معجمه لسان العرب: "النحو: إِعراب الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، والنَّحْوُ: القَصدُ والطَّرِيقُ، يَكُونُ ظَرْفًا وَيَكُونُ اِسْمًا، نَحاه يَنْحُوه و يَنْحاه "[2].

و ورد في مقاييس اللغة: " النُّونُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ، وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوُ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أُصُولَ الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ الْعَرَبُ تَتَكَلَّمُ بِهِ"[3] .

و بناءً على ما سبق من التعريف اللغوي لعلم النحو يتضح أنّه جاء بمعنى القصد، وأنّه يهدف إلى محاكاة العرب في طريقة لكلامهم.

---

[1]: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، باب النون، ج4، ص:201.

[2]: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ج15، ص:309.

[3]: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، (د ط)،1979م، ج5، ص:403.

ب- اصطلاحا:

لعل أقدم محاولة لتعريف هذا المصطلح ما ذكره ابن السرَّاج (ت 316هـ) في كتابه الأصول: " النحو إنما أُرِيد به أن ينحو المتكلم إذا تعلّمه كلام العرب، و هو علم استخرجه المتقدِّمون فيه من استقراء كلام العرب "[1].

و عرفه ابن جنّي بقوله:

"هو انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرُّفه من إعراب و غيره، كالتثنية و الجمع والتحقير و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها و إن لم يكن منهم، و إن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها، و هو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خُصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي: عرفته، ثم خُصَّ به علم الشريعة من التحليل والتحريم، و كما أن بيت الله خُصَّ به الكعبة، و إن كانت البيوت كلها لله، وله نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه، و قد استعملته العرب ظرفا، و أصله المصدر "[2].

و يُعرِّفه الجرجاني بقوله: "هو علم بقوانين يُعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب و البناء و غيرهما، و قيل: النحو: علم يُعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، و قيل: علم بأصول يُعرف بها صحة الكلام و فساده" [3].

لم تختلف عبارات العلماء كثيرا في تحديد مفهوم اصطلاحي لعلم النحو، فقد كانت معظم تعاريفهم متقاربة، تدل على أن النحو يهدف إلى وضع قوانين يعرف من خلالها صحيح الكلام من فاسده، بالإضافة إلى توسع بعضهم في الشرح.

---

[1]: أبو بكر ابن السراج، الأصول في النحو، تح : محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2009م، ج1، ص:39.

[2]: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح : محمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1952م، ج1، ص:34.

[3]: محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 1983م، ص: 202.

و علم النحو بهذا المصطلح لم يكن معروفا عند العرب الأوائل، و لم يكن متداولا، و لكنهم عبروا عنه باصطلاحات أخرى هي:

أولا: العربية [1]

عن أبي مسلم الخولاني (ت 62 هـ) قال: قال عمر بن الخطاب: " تعلَّموا العربية، فإنها تُشَبِّب العقل، و تزيد في المروءة"[2]، و قال أبو عبيدة معمر بن المُثنَّى: "أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه العربية..."[3]، و عن عاصم (ت 128هـ) قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى عُبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية فأبى..."، وعنه أيضا قال: " أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي "[4].

ثانيا: الكلام[5]

يقول أبو الأسود في هذا الشأن عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي: "هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام و دخلوا فيه و صاروا لنا إخوة فلو علَّمناهم الكلام"[6].

ثالثا: الإعراب

وهو أحد الاصطلاحات التي كانت شائعة في القرن الأول للهجرة[7]، فقد ذكر السيوطي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه استعمل كلمة (الإعراب) بمعنى

---

[1]: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، السعودية، ط1، 1981م، ص:07.

[2]: محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1971م، ص:13.

[3]: أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح : محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1955م، ص:11- ص:12.

[4]: المرجع نفسه، ص:13.

[5]: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، مرجع سابق، ص:09.

[6]: ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، مرجع سابق، ص:22.

[7]: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، مرجع سابق، ص:14.

النحو عندما قال: "وليُعلِّم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب"[1]، أي فليعلِّمهم انتحاء سبيل العرب في الكلام و الإبانة[2].

رابعا: المجاز

وهو من الاصطلاحات الأُولى التي جاءت بمعنى (النحو)، و يُقصد به أيضا طريق العرب في التعبير، و هو اصطلاح فيه شيء من الشمول لعلم العربية، فهو لا يقف عند العناية بأواخر الكلام إعرابا و بناءً، بل يتناول طرائف القول، و يُبيِّن ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، و نظام الجمل بعضها مع بعض حتى تُؤدِّي المعاني من المتكلِّم إلى السامع[3].

سارت هذه الاصطلاحات (العربية، الكلام، الإعراب، المجاز) جنبا إلى جنب عند نحاة القرن الأول، وأوائل القرن الثاني للهجرة، الذين لم يُؤْثر عنهم استعمال اصطلاح (النحو) و هو أمر طبيعي، لأن النحو نشأ نشأة فطرية، فكانت ظواهره الأولى تُرصَد من قبل العلماء و تخضع لملاحظاتهم، فقام النحو فنًّا قبل أن يكون علما، و أخذت تلك الظواهر اللغوية تبرز شيئا فشيئا إلى أن لقينا مصطلح "النحو" عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)[4].

يتضح مما سبق أن علم النحو مر بمراحل عديدة حتى سمي بهذا العلم، فقد تم تداوله من طرف الأوائل بمسميات مختلفة، إلى أن صار علما قائما بذاته، و لَإن اختلفت المصطلحات والمسميات إلاّ أن هذا العلم كان يهدف إلى شيء واحد و هو الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف و اللغة العربية من اللحن.

---

[1]: جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1982م، ج1، ص:51.

[2]: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، مرجع سابق، ص:14.

[3]: عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، مرجع سابق، ص:14- ص:15.

[4]: ينظر: المرجع نفسه، ص:16- ص:17.

المطلب الثاني: نشأة علم النّحو

تعدّدت الروايات في نشأة علم النحو، و يمكن أن نردّ أسباب وضع النحو العربي إلى بواعث مختلفة، منها الديني و منها غير الديني، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود السلامة و الفصاحة، و خاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه و سلم [1]، لأن اللّحن ظهر في كلام الموالي و المتعرِّبين من عهد النبي صلى الله عليه و سلم، فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال : "أرشدوا أخاكم " و قال أبو بكر:" لأن أقرأ فأُسقِط أحبّ إلي من أن أقرأ فألحن "[2].

و جاء في معجم الأدباء: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي فقرَّعهم، فقالوا: إنا قوم متعلمين فأعرض مغضبا و قال: و الله لخطأكم في لسانكم أشدُّ علي من خطأكم في رميكم"[3]، و قال ابن جنّي: "و رووا أيضا أن أحد ولاة عمر رضي الله عنه كتب إليه كتابا لحن فيه، فكتب إليه عمر أن قنّع كاتبك سوطا" [4].

هكذا انتشرت جرثومة اللحن، فأعدت الخاصة حتى صاروا يعدّون من لا يلحن، قال الأصمعي: "أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي و عبد الملك بن مروان، و الحجاج بن يوسف و ابن القرية، و الحجاج أفصحهم"[5]، غير أن اللّحن في صدر الإسلام كان قليلا بل نادرا، و كلما تقدّمنا مُنحدرين مع الزمن اتسع شيوعه على الألسنة، و خاصة بعد تَعرُّب الشعوب المغلوبة التي كانت تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية مما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للحن وشيوعه، و من ذلك ما رُوي عن الحجاج

---

[1]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، (د ت ن)، ص:11.

[2]: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح : محمد أبو الفضل، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، 1955م، ص:05.

[3]: شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص:16-ص:17.

[4]: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج2، ص:08.

[5]: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م، ص:17.

أنه سأل يحي بن يعمر هل يلحن في بعض نطقه؟ و صارحه يحي بن يعمر أنه يلحن في حرف من حروف القرآن إن كان يقرأ قوله عز وجل [1] :{ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ }[2]، إلى قوله تعالى: {أَحَبَّ} بضمِّ أَحَبُّ و الوجه أن تُقرأ بالنصب على خبر كان [3]، فالملاحظ من هذه الرواية أن اللحن مسّ الحجاج الفصيح الذي كان يبغض اللحن[4].

و قد رُوي أنَّ الحجاج بعث إلى والي البصرة: أن اختر لي عشرة من عندك، فاختار رجالا منهم رجل اسمه كثير، و كان رجلا عربيا فصيحا، قال كثير فقلت في نفسي: لا أفلت من الحجاج إلا باللحن، فلما دخلنا عليه دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت: كثير، قال ابن من؟ فقلت ابن أبا كثير، فقال عليك لعنة الله و على من بعث بك، جثوا في قفاه، فأخرجت [5].

و ازداد اللحن فشوا و انتشارا على ألسنة أبنائهم الذين لم ينشأوا في البادية ولا تغذوا من ينابيعها الفصيحة، إنما نشأوا في الحاضرة و اختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم و الوهن على ألسنتهم و فصاحتهم على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك، و كثرة ما كان يجري على لسانه من لحن وكان كثيرون من أبناء العرب ولدوا لأمهات أجنبيات أو أعجميات، فكانوا يتأثرون بمن في نطقهن لبعض الحروف و في تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية، وكل ذلك جعل الحاجة تمس في وضوح إلى وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم [6].

و لذلك لجأ العرب لمعالجة هذا الأمر، حتى يأمنوا أي لبس قد يأتي من تلك الناحية و ما دفعهم لذلك هو "حرص العرب المسلمين حرصا شديدا على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود الفصاحة و السلامة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن

---

[1]: ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:11.

[2]: سورة التوبة/الآية:24.

[3]: الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، مرجع سابق، ص:28.

[4]: ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:12.

[5]: شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، ج1، مرجع سابق، ص:27.

[6]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:12.

يشيع على الألسنة[1]، هذا فضلا عن أن جميع الروايات تجزم بأن نشأة النحو لم تكن إلا لتحقيق هدفين:

أولهما: الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن و الفساد

ثانيهما: الخوف على العربية عموما من الخلطة و العجمة [2]

ولقد كان للقرآن الكريم مكانة عند المسلمين، وفي قلوبهم من الحرص على نصه مالا زيادة عليه لمستزيد، من هنا كان الخوف على القرآن حينا من عوادي الفتنة وحينا من مخاطر اللحن هو الدافع للسلف الصالح من المسلمين إلى اتخاذ خطوات مخلصة تقية سعوا بها إلى المحافظة على النص القرآني من أهواء التحريف وأخطاء اللحن [3]، لصونه من أي شبهة تلحقه، فالحقيقة التي لا خفاء فيها ولا لبس أن النحو قد اجتمعت له أسباب الحياة و النمو و زخر ثم فاض و استبحر، حتى ملأ الحواضر و الأمصار، و ذلك بسبب عامل الدين [4].

ومن أجل ذلك فكّر أهل العلم في وضع ضوابط يستعين بها المُعَرَّبون على ألا يرتكبوا شيئا من اللحن، و ارتكاب اللحن هجنة و عيب للعالم، و ذلك لأن شيئا منهم عرض لجمهرة المسلمين عربا و غير عرب، و هم يتلون القرآن و المسلمون جد حريصون على ألا يحدث شيء من هذا، لقد كانت العربية لغة التنزيل العزيز و لغة السنّة النبوية الشريفة، فليس من المقبول أن يعرض لهذه اللغة الشريفة شيء مما يقدح فيها من اللحن الذي بدأ يشيع، و إذا كانت العربية قد شُرِّفت بهذه المنزلة العليا، فهي كلام الله و كلام نبيه، و هي المروءة الظاهرة [5]، و مع العودة إلى تاريخ الصدر الأول نُلاحظ أنَّ القرآن حُمل عن الرسول

---

[1]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:11.

[2]: عبد الله أحمد، النحو العربي عماد اللغة و الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002م، ص:32.

[3]: تمام حسان، الأصول، دار عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000م، ص:24.

[4]: عبد الله أحمد، النحو العربي عماد اللغة و الدين، مرجع سابق، ص:32.

[5]: ينظر: أبو القاسم الزَّجَّاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت، ط3، 1979م، ص:95.

صلى الله عليه و سلم مشافهة أولا، مع تعليقه على "الرقاع" بواسطة كتبة الوحي، الذين اتخذهم النبي صلى الله عليه و سلم لذلك " و كان النبي صلى الله عليه و سلم سيِّد الحفاظ و أول الجماع، في محاولة منه تعليم الناس أحكام الإسلام بتعليمهم تلاوة آي الذكر الحكيم حيث نرى أول إشارة من النبي صلى الله عليه و سلم إلى وجوب الاهتمام بالحفاظ على القرآن خارج دائرة اللحن بطلبه إلى رجل لحن في القرآن "أرشدوا أخاكم فقد ظل"، معتبرا اللحن في القرآن ضلالا عن الحق[1].

ويمضي عهد النبي صلى الله عليه و سلم ليأتي عهد الصديق حيث ينبري إلى جمع القرآن، في صحف مرتبة الصور و الآيات، و ضمن كتاب واحد، حيث تطالعنا فيه رواية مهمة نقلها السيوطي عن لسان أبي بكر يقول فيها: "أن أقرأ فأسقط أحب إلي من أقرأ فألحن"[2]، و مفادها أن أبا بكر يفضل نسيان شيء من كلام القرآن لأنه سيعلم ذلك، على اللحن ففيه مخالفة أن يلتبس المعنى على السامع، أو أن يسيء إلى السياق تأكيدا منه على صعوبة ما نبه إليه النبي صلى الله عليه و سلم سابقا [3]، وفي عهد الخليفة عمر نشهد توسع دائرة اللحن بالقرآن بعد اشتغال غير واحد بإقرائه للناس، حيث يُصوِّب عمر الأعرابي الذي قرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴿٣﴾﴾[4] فيقرأها له بالضم بدل الكسر و يعمم على الناس "ألا يقرئ القرآن إلا عالم به"، وفي عهد عثمان نجد اختلاف المسلمين في قراءة القرآن، لعدم وجود علامات الإعراب، الأمر الذي أدى إلى الاختلاف في التفسير، أما بالنسبة إلى عهد علي بن أبي طالب و معاصرته للحن منذ أيام الرسول صلى الله عليه و سلم فيستحيل سكوته عن اللحن[5]، و منها قول الأعرابي الذي لحن في قوله تعالى:﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ

---

[1]: ينظر: طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م. ص:91.

[2]: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2، ص:341.

[3]: ينظر: طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، مرجع سابق، ص:92.

[4]: سورة التوبة/الآية:03.

[5]: ينظر: طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، مرجع سابق، ص:92.

﴿إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾[1]، فنصب الخاطئين بدل رفعها بالواو، هذه الأخبار مجتمعة تؤكد دور الصحابة و على رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على القران الكريم بعد أن عم اللحن بآياته، و بعد اتساع رقعة الإسلام و دخول الناس في دين الله أفواجا شعر علماء العرب بالخطر الذي يحذق بلغتهم على وجه العموم و بالقرآن على وجه الخصوص، فأبو الأسود الدؤلي يرى أن الموالي الذين دخلوا في الإسلام إنما هم إخوة وجب تعليمهم اللغة، و يبدوا أن التركيز على تعليمهم، مرده أن أصبحت البصرة قبلة للأعاجم و مكة مقصد لكل الأجناس لحج بيت الله، فضلا عن اختلاطهم في الأسواق و المساجد ،مما أدى إلى خلل في اللسان العربي [2].

يتضح من الروايات السابقة على أن وضع علم النحو كان لا مفر منه، فقد كانت الحاجة أكثر من ضرورية لتأسيس علم النحو للحفاظ على القرآن الكريم، ذلك أن اللحن بدأ ينتشر بصفة مخيفة، فكان من المهم وضع قواعد تحفظ نصوص الذكر الحكيم.

[1]: سورة الحاقة/الآية:37.

[2]: ينظر: طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، مرجع سابق، ص: ص:93.

المطلب الثالث:أصول النحو

عرّف الأنباري أصول النحو بقوله: "أصول النحو أدلّة النّحو الّتي تفرّعت منها فروعه وفصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلّة الفقه الّتي تنوّعت عنها جملته وتفصيله "، ويقول السيّوطي في الاقتراح: "هو بالنّسبة إلى النّحو، كأصول الفقه بالنّسبة إلى الفقه " [1].

وقد اختلف النحاة في عدد أصول النحو، فعدَّها ابن جني في الخصائص، ثلاثة أصول: السماع والقياس والإجماع، وأسقط استصحاب الحال، وعدّها ابن الأنباري في لمع الأدلة والإغراب عن جدل الإعراب ثلاثة: النقل والقياس واستصحاب الحال، وأسقط الإجماع، و جاء السيوطي في مرحلة تالية، فكانت عنده أربعة أصول: السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال.

السّماع:

هذا هو الأصل الأول من أصول النحو للاستدلال في اللغة العربية، والسماع هو ما نقل عن العرب من أقوال، وبناءً على ما سُمع من كلام العرب يتّم تقعيد القواعد، ووضع الأسس اللغوية.

وقد عرّفه السيّوطي بقوله هو: " ما ثبت في كلام من يُوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيّه صلى الله عليه و سلم، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المُوَلَّدين نظما ونثرا ... "[2].

و على هذا فإن مصادر السّماع ثلاثة وهي القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين، و الحديث الشريف المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم كلام العرب الفصحاء قبل البعثة وبعدها إلى أن فسدت الألسنة، وهذا الكلام يتمثل في الشعر والنثر.

---

[1]: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971م، ص:80.

[2]: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح : عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006م، ص:39.

" أما القرآن الكريم فكل ما ورد أنّه قُرِئ به جاز الاحتجاج به، سواء أكان متواترا، أم أحادا، أم شاذًّا "[1].

أمَّا القرآن الكريم فقالوا: " إن كل رواياته فصيحة، حتى الشاذ منها، ولو أنه لا يُقاس عليها، فهذا ابن جنّي يقول: "غرضنا أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحة الرواية بِجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه "[2].

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول الذي أعتمد عليه النحويون في التقعيد لقواعدهم، فهو أصح الكلام وأبلغه، وعندما نرجع إلى المصنفات النحوية قديمها وحديثها، نجد الآيات القرآنية موضع كثير من المسائل النحوية، مما يدل دلالة واضحة على إدراك النحاة قيمة هذا الكتاب ومنزلته، ولعل أقوى مثال على هذا كتاب سيبويه الذي حفل بالاستشهاد بعدد هائل من الآيات على قضايا نحوية ولغوية.

أما المصدر الثاني من مصادر السّماع فهو الحديث النبوي الشريف ويُقصد به كلام الرسول دون سواه، فهو أفصح الكلام وأرقاه منزلة في البلاغة وأغزره مادة، ومع علم النحاة وإقرارهم بفصاحته إلا أن بعضا منهم لم يكن مُكثّرا من الاحتجاج به خوفا أن تكون الأحاديث مروية بالمعنى، أو يكون اللحن قد تطرق إليها لأن كثيرا من الرواة كانوا من الأعاجم وأما الحديث فيرفضون الأخذ به في الاستشهاد على المسائل النحوية، محتجين بأنّه قد سمعت الرواية فيه بمعناه لا بلفظه، كما أن بعض رواته كانوا من المُوَلَّدين وهذه حجة واهية بالطبع، فإن رواة الأحاديث كانوا يعيشون في حيز عصور الاحتجاج، وحتى لو سلمنا جدلا بأنهم رووا الأحاديث بالمعنى وصاغوها بعباراتهم، فإنهم ممن يحتج بلغتهم، ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الأوائل عن الاستشهاد بالحديث، إيثارهم الابتعاد عن موطن تزل

[1]: ينظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص:39.

[2]: أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي ناصف و آخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1966م، ج1، ص:32-ص:33.

فيه الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث، في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتهام بعض الناس بعض، بهذا الوضع [1].

و أما المصدر الثالث من مصادر السماع فهو كلام العرب، وقد احتج النُحاة بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بِعربيَّتهم شعرا و نثرا، ووضعوا ضوابط للأخذ بالمادة اللغوية وعيَّنوا قبائل للأخذ منها، كما حدّدوا زمنا معينا للاحتجاج، فقد حرص علماء النحو وخاصة علماء البصرة على انتقاء الأساليب الفصيحة والشواهد الصحيحة، فنجد الخليل مثلا، قد تجوّل في بوادي الحجاز و نجد وتهامة لأخذ اللغة، وكان تلميذه سيبويه يعتمد على القبائل الموثوق بكلامها كأهل الحجاز وبني تميم، أما نحاة الكوفة فقد توسعوا في السماع وقبلوا جميع ما روى من الشعر، وما أثر من كلام العرب، و سمعوا من جميع القبائل [2].

وقد حرص النحاة على تحري الدّقة من مصادر السماع، و التأكد من المسموع، إلاّ أنّه مما يؤخذ عليهم هو عدم الاستشهاد بالحديث كثيرا و تقديم كلام العرب على حديث النبي صلى الله عليه و سلم، ذلك أن الحديث الشريف في رأيهم مأخوذ بالمعنى ولم يؤخذ مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب سافروا من أجله إلى الأمصار ونقوله مشافهة من ألسنة العرب الأقحاح.

القياس:

هو الركن الثاني من أركان الأصول بعد السماع فقد تنوّعت مفاهيمه و هي إن اختلفت لفظا فقد اتفقت معنى، و من ذلك ما ذكر ابن الأنباري أن القياس في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: "هو حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع"، وقيل:"هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع"،وقيل: "هو اعتبار الشيء

[1]: ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999م، ص:97.

[2]: ينظر: علي محمد الياسري، الفكر النحوي عند العرب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2003م، ص:190-ص:191.

بالشيء بجامع"[1]، ومعنى هذا أن تحمل كلاما غير مسموع على كلام مسموع من كلام العرب الفصحاء، وقيل في حدّه: "إنه علم بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب "[2].

ويقول عنه مهدي المخزومي: " هو حمل ما يجد من تعبير على ما اختزنته الذاكرة، وحفظته ووعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت " [3].

وقد تناول إبراهيم أنيس القياس في كتابه من أسرار اللغة حيث عرفه بقوله : " وليس القياس إلا استنباط مجهول من معلوم، فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى، سمى عمله هذا قياسا، فالقياس اللغوي هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللغوي، وحرصا على اطراد في الظواهر اللغوية "[4].

فالقياس في حقيقته ما هو إلا محاكاة للعرب في طرائقهم اللغوية، وحمل كلامنا على كلامهم المسموع، ولن تصلح تلك المحاكاة إلا بمنهج تحترم فيه قواعد اللغة والنحو والصرف، التي وضعت من قبل علماء النحو في القرون الهجرية الأولى، بعد استقرائهم للكلام العربي الفصيح، وفق ضوابط حددوها في إطار الأصل الأول من أصول النحو وهو السماع، وعلى هذا كان القياس الطريقة الطبيعية التي يسلكها الدارس لاستنباط حكم لغوي أو نحوي.

وللقياس فائدة وهي أن تغني المتكلم عن سماع كل ما قالته العرب، كما أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالنحو، إذ هو الأصل الثاني من أصول النحو، التي اعتمدها النحاة في إقرار قواعد اللغة والنحو، ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو وفي ذلك يقول ابن الأنباري: " فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة، ذلك أن أئمة الأمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة

---

[1]: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، مرجع سابق، ص:93.

[2]: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص:79.

[3]: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص:20.

[4]: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص:09.

الاجتهاد، وأن المجتهد لو جمع جميع العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم من قواعد النحو ما يعرف به المعاني المتعلقة معرفتها به منه، ولو لم يكن ذلك علما معتبرا في الشرع، لما كانت رتبة الاجتهاد متوقفة عليه لا تتم إلا به "[1].

فالقياس ركيزة أساسية مبني عليها علم النحو، و لا يمكن التخلي عنه، فهو من أهم الأصول التي بُني عليها علم النحو، ذلك لدقته، و صحة قواعده.

الإجماع:

الإجماع هو الأصل الثالث من أصول النحو العربي، الذي اعتمده النحاة في استنباط القواعد النحوية وصياغتها، و يعد هذا الأصل ثمرة واضحة لتأثر أصول النحو بأصول الفقه مثلما كان الحال في القياس عند النحاة، يعني إجماع أهل العربية على أن هذا الحكم كذا، كإجماعهم على أن علّة تقدير الحركات في (المقصور) التعذر، و في (المنقوص) الاستثقال[2]، و يُعد ابن جني من أوائل القدماء الذين انتبهوا إلى هذا الأصل فيقول : " أعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حُجة إذا أعطاك خصمك يده ألاَّ يخالف المنصوص و المقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه... و إنّما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة" [3].

نستنتج من قول ابن جني أن الإجماع بُني أساسا على اتفاق الحكم بين ما ورد فيه نص وما لم يرد فيه، ولذلك اشترط أن يكون المجمع عليه موافقا للمنقول وما قيس، وهذا بالإضافة إلى إشارته القيّمة إلى أن الإجماع منتزع من اللغة واستقرائها وليس خارجا عنها، والإجماع نوعان : إجماع صريح يكون باتفاق المجتهدين بقول يسمع من كل منهم أو بفعل يشاهد منه في عصر واحد، لا يتخلف منهم أحد، وإجماع سكوتي يكون بصدور قول أو فعل عن بعض المجتهدين يعلم به سائرهم فيسكتون لا يعلنون موافقة ولا يذيعون مخالفة، ولا خلاف عند جمهور العلماء في أن الأول منهما إجماع يحتج به، أما الثاني فاختلفوا فيه بين

---

[1]: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، مرجع سابق، ص:95.

[2]: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص:113.

[3]: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، مرجع سابق، ص:189.

ناف له مطلقا وقائل بحجيته مطلقا، ومتوسط يقر به إن كان المصرّحون به أكثر من الساكتين[1].

وقد أخذ النحاة من الإجماع دليلا للاحتجاج في تقرير الأحكام النحوية، وسبيلا لرد آراء المعارضين والمخالفين، ولهذا لابد للإجماع أن يكون موافقا للمنقول وما قيس عليه، فالإجماع منتزع من اللغة؛ فهو ثمرة استقرائها ومخالفته غير مستحبة، ولا يؤخذ إلا عمن تصح لغته، فالإجماع أصل من أصول النحو، و هو اتّفاق عُلماء النّحو في مسألة مُعيّنة، و يعتبر دليلًا من الأدلة التي بني عليها النحو، وركنًا من الأركان التي يقوم عليها علم أصول النحو العربي، حيث يسهم في تيسير هذا النحو وإزالة كل الخلافات.

استصحاب الحال:

وهو الأصل الرابع من أصول علم النحو فقد عرفه ابن الأنباري بقوله :" هو إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل "[2]، ومعنى ذلك أن ما يثبت من الأحكام النّحويّة والصّرفيّة بالأدلّة الإجماليّة، لا يجوز العدول عنه أو تركه، حتّى يرِد الدّليل النّاقل عن ذلك الأصل وإن اختلف في مدى حجيته من عدمها من قبل النحويين، إلا أنه يبقى دليلا معتبرا يرجع إليه في عدم وجود الأدلة من القرآن، أو السنّة، أو كلام العرب، أو الإجماع، أو القياس الصّحيح.

وبالنظر في أقسام الكلم الثلاث، نجد أن الفعل والاسم هما من يخضعان لهذا الدليل في أثناء استنباط الأحكام النحوية، لما قد يصيب بنيتهما من تحول في بعض الأحيان، بخلاف القسم الثالث وهو الحرف الذي يثبت على حال واحدة؛ يقول ابن الأنباري: " المراد باستصحاب حال الأصل في الأسماء وهو الإعراب، واستصحاب حال الأصل في الأفعال وهو البناء، حتى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء ويوجد في الأفعال ما يوجب الإعراب وما يوجب البناء في الأسماء هو شبه الحرف أو تضمن معنى الحرف، فشبه الحرف في

[1]: محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص:79.

[2]: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، مرجع سابق، ص:46.

نحو: الذي، وتضمن معنى الحرف في نحو: كيف، وما يوجب الإعراب في الأفعال هو مضارعة الاسم في نحو: يذهب، ويكتب، ويركب، وما أشبه ذلك، ومثال التمسك باستصحاب الحال في الاسم المتمكن أن تقول: الأصل في الأسماء الإعراب، وإنما يبني منها ما أشبه الحرف أو تضمن معناه، وهذا الاسم لم يشبه الحرف ولا تضمن معناه فكان باقيا على أصله في الإعراب، ومثال التمسك باستصحاب الحال في الفعل أن تقول في فعل الأمر: الأصل في الأفعال البناء وإنما يعرب منها ما شابه الاسم، وهذا الفعل لم يشابه الاسم فكان باقيا على أصله في البناء "[1].

فلا حاجة لنا في استصحاب الحال ما لم تخرج الكلمة عن أصلها، فإن كان الاسم معربا فهو على أصله وإن كان الفعل مبني فهو على أصله، فإذا خرج أحدهما عن أصله كانت الضرورة ماسة لرده باستصحاب الحال؛ لهذا السبب ضعف بعض النحاة هذا الأصل، يقول ابن الأنباري " واستصحاب الحال من أضعف الأدلة، ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل، ألا ترى أنه لا يجوز التمسك به في إعراب الاسم مع وجود دليل البناء من شبه الحرف، أو تضمن معناه، كذلك لا يجوز التمسك به في بناء الفعل مع وجود دليل الإعراب من مضارعة الاسم، وعلى هذا قياس ما جاء من هذا النحو"[2].

أما عن استدلال النحاة بهذا الأصل فقد جنحوا إليه كثيرا في إقرار بعض الأحكام النحوية وخاصة البصريين منهم، متى لم يجدوا دليلا في السماع أو في القياس، يقول السيوطي:" والمسائل التي استدل فيها النحاة بالأصل كثيرة جدا لا تحصى، كقولهم: الأصل في البناء السكون إلا لموجب تحريك، والأصل في الحروف عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها من الاشتقاق ونحوه، والأصل في الأسماء الصرف والتنكير والتذكير وقبول الإضافة"[3].

---

[1]: ينظر: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، مرجع سابق، ص:141–ص:142.

[2]: أبو البركات ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، مرجع سابق، ص:142.

[3] : جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص:137.

وبالعودة إلى كتب الخلاف النحوي، ومنها الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، نجد أن البصريين قد أكثروا من الاستدلال بهذا الأصل لإقرار بعض الأحكام النحوية، ومن ذلك: استدلالهم بالأصل على أن ناصب المفعول هو الفعل لا الفاعل، إذ إن الأسماء لا تعمل، فقالوا:" إنما قلنا أن الناصب للمفعول هو الفعل دون الفاعل، وذلك لأنا أجمعنا على أن الفعل له تأثير في العمل، أما الفاعل فلا تأثير له في العمل؛ لأنه اسم، والأصل في الأسماء ألا تعمل وهو باق على أصله في الاسمية فوجب أن لا يكون له تأثير في العمل، وإضافة ما لا تأثير له في العمل إلى ما له تأثير ينبغي أن يكون لا تأثير له "[1].

على الرّغم من أنّ استصحاب الحال من الأدلّة المعتمدة لدى الأصوليين إلا أنّه من أضعف الأدلّة، فلا يُعتد به إذا وجد أصل آخر.

إذن فخلاصة الكلام أن أصول النحو هي المصادر التي اعتمد عليها النحاة في دراساتهم الأولية للنحو، و الأدلة التي اعتمدها اللغويون في تقعيد القواعد واستنباطها واتخذوها حجة يستدل بها.

[1]: ينظر :أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق، ص:80.

المبحث الثاني: المدارس النحوية

عندما اختلط العرب بالأعاجم و شاع اللحن واختلَّ ميزان اللغة العربية، انبرى جمع من العلماء الغيورين على لغتهم فقاموا بوضع قواعد اللغة العربية حفاظا عليها من الضياع، فشكلوا في مُجملهم المدارس النحوية التي اختلفت في مناحي متعددة إلا أنها اتفقت في غاية واحدة وهي الحفاظ على اللغة، واشتهرت عدة مدارس منها المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية والمصرية والأندلسية وقد أخذت تسمياتها من البيئة الواقعة فيها، وسنركز الحديث على منهج كل مدرسة بإيجاز.

المطلب الأول: المدرسة البصرية

الحديث عن مدرسة البصرة هو الحديث عن النحو العربي منذ نشأته وحتى عصرنا الحاضر، فالذي لاشك فيه أن النحو بصورته المعرفة نشأ بصريًا و تطور بصريا [1] .

ويُروى أن نُحاة البصرة الأولون ربَّما عرفوا أن لبعض اللغات الأجنبية نحوًا، فحاولوا أن يضعوا نحوًا للعربية، راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رَقيت رُقيًا بعيدًا بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية، وخاصة الفلسفة اليونانية وما يتصل بها من المنطق، مما دعم عقولهم دعمًا قويًا، وجَعلها مستعدة لأن تستنبط قواعد النحو وعلله و أقيسته [2].

المعروف أن البصرة سبقت إلى وضع النحو منذ القرن الأول للهجرة واستمرت جهود المدرسة على أيدي أعلامها الأوائل أمثال: ابن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسي بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، حتى كان الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه اللذان يُعتبران بحق الواضعين للنحو العربي بصورته المعروفة [3].

---

[1]: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 1980م، ص:09.

[2]: ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:20.

[3]: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، مرجع سابق، ص:11.

فكانت البصرة سباقة في تأسيس علم النحو كما أنها أرست قواعده، وأما المدارس اللاحقة فقد سارت على نهجها.

خصائص المدرسة البصرية:

ظهر النحو العربي في مناخ علمي متعدد المشارب والاتجاهات، وظهرت قبله علوم عقلية منها الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، أثرت عليه بشكل مباشر وغير مباشر، ولعل أهم ما يميز المدرسة البصرية ما يلي:

أولا: التشدد في أخذ اللغة:

ومن أجل ذلك رحلوا إلى البوادي التي لم يخالط لسانها اللحن فاشترطوا أمكنة معينة يأخذون منها مثل نجد وبوادي الحجاز وتهامة وعينوا أزمنة محددة لذلك، واشترطوا فيمن تؤخذ عنه اللغة الفصاحة ،وقد كان هذا الشرط مصدر فخر لهم على الكوفيين، فقد قال الريّاشي مفاخراً الكوفيين: "إنّما أخذنا اللغة عن حَرَشَة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشوارز"[1]، وقد قادهم تشدُّدهم هذا إلى التحري عن الشواهد الفصيحة فقط.

ثانيا: الاعتماد على القرآن الكريم وقراءاته في وضع قواعدهم:

فقد كان القرآن وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم، وقد توقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة ووجدوها لا تطرد مع قواعدهم ، بينما تطرد معها قراءات أخرى آثروها، و توسّع في وصف ذلك بعض المعاصرين، فقالوا إنهم كانوا يردون بعض القراءات ويضعفونها، كأن ذلك كان ظاهرة عامة عند نحاة البصرة مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه نصوص صريحة مختلفة تشهد على ذلك...، وربما نجد أن بعض بصريِّي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات – وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة ولا خاصة ولا عامة– وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويؤولونها ما وجدوا إلى

[1]: السيرافي، أخبار النحويين البصريين، مرجع سابق، ص:68.

التأويل سبيلا [1]، فقد اعترض بعض البصريين على بعض قراءات القرءان الثابتة ، زاعمين أنها خالفت قواعد النحو.

ثالثا: إهمال الحديث النبوي الشريف عند استشهادهم:

لم يحفل البصريون بالحديث، ولم يتخذوه إمامًا لشواهدهم وأمثلتهم بدعوى أنه رُوي بالمعني؛ ولأنه لم يُكتب ولم يُدون إلّا بعد المائة الثانية للهجرة، ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم، فكان من الطبيعي أن لا يحتجوا بلفظه وما يجري فيه من إعراب، وقد قال أبو حيان الأندلسي:"...على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسي بن عمرو، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه من أئمة البصريين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون...، ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لو وثقوا لجرى ذلك مجرى القرآن [2].

رابعا: التأثر بالمعارف:

حتى أصبحت الصفة العامة للمذهب البصري أنه مذهب حاول أن يُدخل مسائل النحو في بودقة المنطق [3].

خامسا: القياس:

وأما من حيث القياس والتعليل فقد توسعوا فيهما، إذ طلبوا لكل قاعدة علّة، ولم يكتفوا بالعلة التي هي مدار الحكم فقد التمسوا علا وراءها، وقانون القياس عام، وظلاله مهيمنة على كل القواعد إلى أقصى حد، بحيث يصبح ما يخرج عليها شاذًا، وبحيث تفتح الأبواب على مصاريعها ليُقاس على القاعدة ما لم يُسمع عن العرب ويُحمل عليها حملا، فهي المعيار المُحكم السديد [4].

---

[1]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:19.

[2]: ينظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص:43-ص:44.

[3]: عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط2، 1978م، ص:91.

[4]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:19-ص:20.

يتضح ممّا سبق أنّ منهج البصريين كان منهجا متشدّدا، و طريقتهم طريقة منظمة، و منهاجهم كان عقليا، سعيا منهم لوضع أسس دقيقة لعلم النحو، إلا أنهم أغفلوا الأخذ بالحديث النبوي ظنا منهم أنه مأخوذ بالمعنى وكل قول لا يوافق قواعدهم عدوه شاذًا لا يقاس عليه، وأنهم في سبيل ذلك خطّأوا بعضا من أقوال العرب ذلك أن بعضا من أقوالهم لا توافق قواعدهم العقلية التي صاغوها.

المطلب الثاني:المدرسة الكوفية

لا تكاد تُذكر البصرة إلَّا وتُذكر معها الكوفة فقد كان لهما فضل تأسيس علم النحو وتطويره، بل لعل ازدهاره في المرحلة الأولى يرجع إلى ما كان بين المدرستين من تنافس شديد ارتفع إلى درجة الخلاف حول كثير من ظواهر العربية.

والبصرة هي التي سبقت إلى وضع النحو، لكن الكوفة ما لبثت أن دخلت ميدانه، على أن هناك حقيقة معروفة هي أن الكوفة تعلمت النحو من البصرة، ثم بدأت تتخذ لنفسها منهجًا خاصًّا فيه حتى تشكلت لها مدرسة متميزة، و حتى لا تكاد تجد مسألة من مسائل النحو إلا وفيها مذهبان، بصري وكوفي، بل لعلك تستطيع معرفة رأي إحداهما إذا وقفت على رأي الأخرى وحدها.

كانت الكوفة مهجر كثير من الصحابة، وازدهر فيها الفقه وكثُرت رواية الأشعار والأخبار، على أن أهم ما يميزها أنها كانت أكبر مدرسة لقراءة القرآن، و منها خرج ثلاثة من القراء السبع هم عاصم وحمزة و الكسائي [1].

وقد تأخر ظهور علم النحو فيها إلى مدة تراوح القرن من الزمن، وأخذ علماؤها يناظرون علماء البصرة في العديد من المسائل النحوية.

وينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بَنَت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي، غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهبًا نحويًا جديدًا، له طوابعه وله أسسه ومبادئه [2].

[1]: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، مرجع سابق، ص:89.

[2]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:158.

خصائص المدرسة الكوفية:

أولا: التوسع في السماع:

فأصغوا إلى كل مسموع لهم وقاموا عليه ولم يُدقّقوا تدقيق البصريين، بل تدرّجوا وأخذوا بالشاهد الواحد ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين، وهذا الأندلسي يقول عنهم: "الكوفيون لو سمعوا بيتًا واحدًا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوَّبوا عليه بخلاف البصريين" [1] فقد كانوا أكثر تسامحا في الأخد بأقوال العرب وأجازوا كل ماسمعوه من كلام العرب بل جعلوا الشاذ اساسا لوضع قواعدهم .

فنجد الكسائي مثلا متسامحا كثيرا في مسألة السماع كما جاء في معجم الادباء" فقد كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن، وشِعر غيرِ أهلِ الفصاحة، والضرورات فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو"[2].

ثانيا: عدم التشدد في تطبيق قواعد النحو وقوانينه:

وهذه ميزة تميز بها النحو الكوفي، فهم يقيسون على ما عده البصريون شاذًا ولعل موقفهم هذا كان نتيجة طبيعية لمعرفتهم من المرويات اللغوية من جهة ومن القراءات القرآنية من جهة أخرى، أما الكوفيون فإنهم يحترمون كل ما سمع من العرب، ولو كانت أعرابية رعناء في نظر المبرد، فإذا سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا و بوَّبوا عليه، بل أنهم إذا سمعوا لفظا في كلام نادر جعلوه بابا، وأخضعوا أصولهم لكل مسموع "[3].

لذلك لم يُخَطِّئوا أحدًا من العرب، ولم يحملوا كلام أي منهم على الضرورة أو التأويل أو الشذوذ، وحرصوا على احترام كل ما رُوي عنهم والأخذ به حتى لو خالف قواعدهم، فأخذوا عن أعراب سواد بغداد من أعراب الحطمة، والحلمات، وعن أعراب سواد الكوفة من تميم وأسد وأهل اليمن ،"وهم عند البصريين من غير أهل الفصاحة، وممن لا يجوز الأخذ

[1]: جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، مرجع سابق، ص:157.

[2]: شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص:1744.

[3] : ينظر: أحمد مكّي الأنصاري، أبو زكريا الفرّاء، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، (د ط)، 1964م، ص:358.

عنهم"[1]، فكثرت بذلك قواعدهم واتسعت مصادرهم، ولم يخرج الكوفيون عن هذا الإطار في القراءات القرآنية" إذ التزموا بالقراءات المختلفة واعتدوا بها، و بنوا قواعدهم عليها، ولم يسمحوا لأنفسهم بتأويلها أو التردد في قبولها مهما كانت درجتها؛ لأنهم كانوا يؤمنون بأن كل قراءة سنة متبعة يلزم الاعتداد بها والسير على نهجها، وأن أئمة القراء لا يعلمون في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية [2].

ثالثا: الحرص على الابتعاد عن التقدير والحذف:

فقد كان الكوفيون أحرص من البصريين في الابتعاد عن التقدير والحذف ونحوهما؛ إلاّ حين تحملهم الضرورة على ذلك حملا يحرصون معه على عدم الإغراب فيهما، وأقل منهم اندفاعًا إلى الأخذ بأساليب أهل الكلام وأبعد منهم عن الاعتداد بأحكام العقل، وعن إتباع التوجيهات الغريبة المصطنعة .

رابعا: استعمال القياس:

إذ اعتدوا بأقوال وأشعار المتحضرين من العرب، كما اعتدوا بالأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء، مما خرج على قواعد البصريين و أقيستهم ومما نعتوه بالخطأ والغلط، ولم يكتفوا بذلك فقد حاولوا أن يقيسوا عليها وقاسوا كثيراً، مما أحدث اختلاطا وتشويشاً في نحوهم [3].

---

[1]: ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط2، 1985م، ص: 116- ص:117.

[2]: شمس الدين ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (د م ن)، (د ط)، (د ت ن)،ج1، ص:10- ص:11.

[3]: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:161.

خامسا: عدم الاعتداد بالحديث النبوي الشريف شاهداً نحوياً في قواعدهم:

شأنهم في ذلك شأن البصريين، وعلى ذلك كان الكسائي والفراء وعلى ابن المبارك الأحمر، وهشام الضرير، معللين بعدهم عن شاهد الحديث النحوي أن الحديث روي بالمعني ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم [1].

وبذلك سارت المدرسة الكوفية على نهج المدرسة البصرية؛ فاتخذت هي أيضا منهجا في وضع قواعد للنحو، إلا أنهم خالفوهم في الكثير من الأمور، و كانت قواعدهم نقيض لقواعد البصرة.

[1]: ينظر :شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:19.

المطلب الثالث:المدرسة البغدادية

نشأ النحو في أحضان البصرة والكوفة، وتطور على أيدي العلماء الخالفين من كلا البلدين حتى وصل إلى درجة عالية من النضج والاستقرار، و ذهبت البصرة بالشهرة الكبرى في الميدان، لكن الكوفة نافستها بحق، وبخاصة آخر عهد المدرستين، حيث تصدر لإمامة البصرة محمد بن يزيد المبرد ت 285 هـ، وحيث رأس علماء الكوفة أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب(ت 291 هـ)، و شهدت بغداد نشاطًا حيًا في حلقتي هذين العالمين الجليلين، واشتد بينهما الصراع، وكثُرت المناظرات مما جعل الدارسين يقبلون على كليهما ويأخذون عنهما معًا، ثم يتخيرون من هذا، ومن ذاك ما يراه كل واحد مناسبًا لتفكيره واتجاهه [1] .

و قد اختلفت فيها اتجاهات العلماء إلى ثلاثة أنحاء، وقد تمايزت طوائفهم الثلاث تبعا لاختلاف نزعاتهم، وكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين البصرية والكوفية تزاول المذهبين، وتنظر فيهما نظرة غير مشوبة بالعصبية، فهي لا بد واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل وذلك المذهب في مسائل أخرى، وكان عمل هذه الطائفة مُنَبها بعض معاصريهم إلى استقراء ما صح من القوانين النحوية بدون التحيز إلى فريق دون آخر؛ فَجَرَّ ذلك إلى الخلط بين المذهبين لاستخلاص مذهب منهما مرضى عنه عندهم[2].

اتسعت هذه الحركة ونمت فعالجها الكثيرون، حتى احتل مكانا بين المذهبين مذهب آخر جديد مُؤلَّف من المذهبين بفروق قليلة، اشتهر ذلك المذهب بالبغدادي، إذ كانت أرض بغداد هي التي أقلَّته وسماؤها هي التي أظلَّته، ظهرت بواكيره في أُخريات القرن الثالث الهجري على مرأى من المتنازعين من الفريقين في الدور الأخير من أدوار سجالهم، فجعل العلماء يأخذون من هذا المذهب مسألة ومن ذاك أخرى مثلا، وهكذا استمروا في العمل تبعا لما تترجح كفتها عند النظر، وما إنْ أَهَلَّ القرن الرابع الهجري حتى كثرت قواعد هذا المذهب الجديد وأيَّده النظار له، واشتهرت طائفة به، فقاسم المذهبين عملا ومزاولة، وشق له سبيلا معهما، وامتدت به الأيام قليلا، فحدث للنحو به عهد جديد، قضى أن يعد طور آخر من

[1]: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، مرجع سابق، ص:159.

[2]: ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مرجع سابق، ص:184.

أطواره [1]، فالمدرسة البغدادية قامت على مبدأ الاختيار و المفاضلة بين آراء المدرستين البصرية و الكوفية، و بالتالي لم تقدم المدرسة البغدادية الجديد، ذلك أن قواعدها هي إما قواعد المدرسة البصرية أو الكوفية.

خصائص المدرسة البغدادية:

تميّزت هذه المدرسة بجملة من الخصائص نذكر منها ما يأتي:

أولا: الاعتماد على مبدأ انتخاب الآراء النحوية من المدرستين (البصرية والكوفية)، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي أن يكون لنحاتها جملة من الآراء الاجتهادية التي حفظتها لنا مؤلفاتهم، وبذلك نشأ " جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة " [2].

اتجهت المنازع العامة للمدرسة البغدادية في اتجاهين: اتجاها مبكرة عند ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها، مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية، وأيضا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاها مقابلا عند الزجاجي ثم عند أبي على الفارسي وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عنيت بدراسة النحو [3].

ثانيا: اشتداد المنافسة في بغداد بين أنصار المذهبين وأتباعهما ممثلين في علمين من أعلامهما عُدّا آخر شيوخ البلدين وعلميهما الشهيرين اللذين انتهت إليهما رئاسة الدرس النحوي وهما: المبرد وثعلب.

---

[1]: ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مرجع سابق، ص:184- ص:185.

[2]:ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:245.

[3]: ينظر:شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص:248.

ثالثا: تأثر بعض البغداديين بألفاظ أهل المنطق وعلم الفلسفة و مصطلحاتهم، فاستخدموها في كتبهم اللغوية والنحوية كالعرض والجوهر والعلة وعلة العلة والدليل والحجة إلى غير ذلك[1].

وبهذا تكون المدرسة البغدادية امتداد للمدرستين البصرية والكوفية، هذه المدرسة نشأت في ضوء التقارب بين منهج المدرستين وهكذا كان البغداديون في موضع يمكنهم من الانتفاع بعلم البصريين وعلم الكوفيين في وقت معا، لأننّا نرى أنّها مدرسة لم تأت بالجديد و كانت جمعا بين المدرستين.

[1]: خضر موسى محمد، النحو والنحاة المدارس والخصائص، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 2003م، ص:255.

المطلب الرابع:المدرسة المصرية

دخلت مصر ميدان الدرس النحوي منذ فترة مبكرة حين وفد إليها عبد الرحمن بن هرمز تلميذ أبي الأسود الدولي الذي ظل بها حتى توفي في الإسكندرية سنة 117هـ، غير أننا لا نجد تأليفا في النحو بمعناه الحقيقي إلا في القرن الثالث حيث نلتقي بولاّد بن محمد التميمي (ت263هـ)، وأحمد بن جعفر الدينوري (ت 289هـ)، ومحمد بن ولاّد (ت298هـ). وفي القرن الرابع نلتقي بالنحوي المصري الكبير أبي جعفر النحاس(ت338هـ) الذي جعل المنهج المصري يتجه اتجاه المدرسة البغدادية في الأخذ عن البصرة والكوفة معا، وفي هذا الاتجاه درج نحاة مصر الخالفون : أبو بكر الإدفوي (ت388هـ)وعلي بن إبراهيم الحوفي (ت430 هـ) وابن بابشاذ (ت469 هـ)، وابن برّي (ت582 هـ)، وسليمان بن بنين الدقيقي (ت614 هـ)، وعلي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت643 هـ)[1].

ويزدهر الدرس النحوي في مصر في عصر المماليك ازدهاراً كبيراً، و يفد إليها عدد كبير من علماء الأقطار الإسلامية، ومنهم بهاء الدين بن النحاس الحلبي الأصل الذي بقي في مصر حتى صار إمام علمائها في العربية وتوفي بها سنة (698 هـ)، وقد تلمذ له أبو حيان عند نزوله مصر[2].

أثّر ابن هشام في النحو العربي أثرا عميقا، فنشطت دراسته نشاطا واضحاً، وظهر عدد كبير من العلماء، وتوفر عدد منهم على تقديم الشروح والحواشي، وبخاصة على كتب ابن هشام وعلى ألفية ابن مالك فنلتقي بابن عقيل شارح الألفية(ت769 هـ)، وابن الصائغ (ت776هـ)، و الدماميني الإسكندري(ت837 هـ)، والكافيجي(ت879 هـ) والشيخ خالد الأزهري صاحب شرح التصريح على التوضيح (ت911هـ) الذي أسهم في معظم حقول التأليف العربي على وجه العموم فكتب في التفسير والحديث والفقه والتراجم واللغة والنحو، ثمّ نلتقي بواحد من أكبر نحاة مصر هو الأشموني (ت 929هـ)، ومن بعده ظهر عدد من

[1]: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:249.

[2]: المرجع نفسه، ص:250.

علماء النحو ظلوا يقدمون الشروح والحواشي وبخاصة في رحاب الأزهر الشريف، ويحفظون المناهج التي أسسها الأسلاف من أن تنالها يد الطمس والتبديل [1].

خصائص المدرسة المصرية:

عني نحاة هذه المدرسة بضبط القرآن الكريم وقراءاته، ودأبوا إلى تعليم مبادئ العربية لشباب الإسكندرية والفسطاط حتّى أتقنوا تلاوة القرآن الكريم، وللمدرسة المصرية خصائص منها:

اتصلت الدراسات النحوية المصرية في زمن مبكر بإمامي المدرستين البصرية والكوفية، فقد اتصل أول من حمل راية النحو في مصر ولاّد بن محمد التميمي بالخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد كان أول من حمل راية النحو في مصر، ومثله أبو الحسن الأعزّ الذي اتصل بالكسائي[2].

ظهر لدى نحاة هذه المدرسة نمط جديد في التأليف، وهو نظام المتون والشروح والحواشي.

تخيّر نحاة هذه المدرسة للآراء النحوية التي تستقيم مع حججهم وبراهينهم وأدلتهم، ويظهر ذلك جليا في كتب السيوطي وهو ألمع نحاة مصر (وخاصة في كتابه الاقتراح) [3]. فالملاحظ أن المذهب المصري في أول نشأته كان شديد النزوع إلى المذهب البصري، ثم أخذ يختلف عنه باتجاه مذهب المدرسة البغدادية، و لم يكتف بذلك بل أضاف الكثير من الآراء الاجتهادية المستقلة في كثير من المسائل النحوية.

[1]: ينظر: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:250.

[2]: ينظر: خضر موسى محمد، النحو والنحاة المدارس والخصائص، مرجع سابق، ص:257.

[3]: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الخامس:المدرسة الأندلسية

استقرت مناهج النحو في المشرق العربي؛ في البصرة والكوفة وبغداد، وتأكد دور النحو في بناء الفكر الإسلامي لأنه كان وسيلة أساسية من وسائل فهم النص القرآني الكريم، وحين دخل الإسلام الأندلس أقبل أهلها على تعلم العربية وتعليمها، وشأن فروع العلم الأخرى كان المتجه دائما نحو المشرق، غير أن النحو لم يأخذ طريقه نحو الشكل العلمي هناك إلا حين استقلت دولة أموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138 هـ.

بدأ الأندلسيون يرحلون إلى المشرق طلبا للعلم، وأقبل عدد من علماء المشرق إلى الأندلس يحملون عِلمهم إلى أهلها، وكان منهم أبو علي القالي الذي ظل في قرطبة حتى توفي بها سنة 356 .

و باعتناق الأندلسيين للدين الإسلامي، زادت رغبتهم في تعلّم العربية لغة الدين، فنشأت " طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلّمون الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية، عن طريق مدارسة النصوص والأشعار، يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القران الكريم، وسلامة لغته وتلاوته"[1].

ويتوالى علماء الأندلس في الأخذ عن مذاهب البصرة والكوفة و بغداد، لكنهم لا يخضعون خضوعا كاملا للنحو المشرقي، بل يضيفون إليه ما يتوصلون هم إليه، ولعل أهم نحاة الأندلس هم: محمد بن موسى الأنشنيق (ت 307هـ) الذي يغلب على الظن أنه أول من أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس، ومحمد ابن يحيى الرباحي (ت 358هـ) وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ) صاحب كتاب طبقات النحويين واللغويين، والأعلم الشمري (ت 476)، وابن السيد البطليوسي (ت521هـ)، وابن الطراوة (ت528هـ)، وابن الباذش (ت538هـ)، والسهيلي (ت583هـ) وابن مضاء، وابن خروف (ت610هـ) وابن هشام الحضراوي (ت646هـ) وغيرهم [2].وما يلفت الانتباه في هذه المدرسة أنّ أعلامها كانوا

[1]:شوقي ضيف، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص: 288.

[2]: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:215- ص:216.

أكثر إقبالا من غيرهم على النحو العربي تعلما ثم شرحا وتعليقا وتأليفاً، وأنّ الصفة الغالبة على النحو الأندلسي كانت في نفس مسار النحو المشرقي [1].

خصائص المدرسة الأندلسية:

امتازت المدرسة النحوية الأندلسية عن غيرها من المدارس النحوية بميزات نذكرها على النحو الآتي:

اهتمت في بداية الأمر بالنحو الكوفي، واقتدى نحاتها في ذلك بنحوييهم جودي بن عثمان(ت198ه) الذي كان قد تتلمذ على يد الكسائي والفرَّاء حين رحل إلى المشرق، وأهملوا العناية بالنحو البصري إلا في مرحلة تالية، حين ظهر اهتمامهم بكتاب سيبويه مصدر النحو البصري من خلال شروح نحاة الأندلس له، يقول عبده الراجحي: "و رغم من أن النحويين الأندلسيين الأوائل كانوا أكثر إقبالا على الكوفة؛ بسبب إقبالهم على القراءات فإنّ كتاب سيبويه احتل عندهم مكان الصدارة، من حيث الدرس والحفظ والشرح والتعليق عليه، فشرحه عدد كبير منهم أبو بكر الخشني، وابن الطراوة، وابن خروف، وابن الباذش، وابن الضائغ وغيرهم" [2].

كان لدخول أبي علي القالي (المشرقي) إلى الأندلس واستقراره فيها، أثر بيّن في قيام نهضة لغوية ونحوية في الأندلس، نظير ما حمله من ذخائر اللغة والنحو والشعر من المشرق.

على الرغم من أخذ الأندلسيين عن البصريين والكوفيين والبغداديين، إلاّ أنهم خالفوهم في بعض الآراء النحوية، ويظهر ذلك جليا في مؤلفاتهم؛ لأنهم انتهجوا نهج الانتخاب في الآراء النحوية كما فعل البغداديون، يقول عبده الراجحي: "ويتوالى علماء الأندلس في الأخذ عن مذاهب البصرة والكوفة وبغداد والحجاز ودمشق، فيسمعون القرآن وقراءاته، ويسجلون أصل هذه القراءات وما يحدث فيها من مد أو إدغام أو همز أو تفخيم أو إعلال أو إبدال أو

[1]: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:216–ص:217.

[2]: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:215.

نحوها، مع ما وجد من دراسات لغوية ونحوية متفرقة يحملونها معهم عائدين إلى الأندلس، ويعلمونها تلامذتهم، ولكنهم لا يخضعون خضوعا كاملا للنحو المشرقي، بل يضيفون إليه ما يتوصلون هم إليه" [1].

الإسهام في تحرير بعض مباحث النحو وأبوابه و مصطلحاته وتذليل مشاكله وصعابه كما فعل ابن مالك الذي كان رائد السماع فهو لا يدلي بحكم دون سماع يسنده، وكان ابن مالك يذكر الشواذ ولا يقيس عليها مثل الكوفيين، ولا يؤولها مثل البصريين، مع تذليله لمشاكل النحو وصعوباته، وربما كان أبو حيان أهم من خلفه من الأندلسيين، وهو شديد العصبية لسيبويه و البصريين [2].

تميز النحويون الأندلسيون بالبحث عن الصواب بغض النظر عن القائل بالرأي، فقد استعملوا عقولهم في وضع أسس المدرسة الأندلسية، و أضافوا الكثير من الآراء النحوية الاجتهادية.

[1]: ينظر: دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص:216.

[2]: خضر موسى محمد، النحو والنحاة المدارس والخصائص، مرجع سابق، ص:257.

الفصل الثاني: تقاطع النحو بالمعنى و التفسير

المبحث الأول: المعنى بين النحو و التفسير

المطلب الأول: تقاطع النحو باللفظ

يوجد علاقة بين دلالة الكلمة المفردة و بين الوظيفة النحوية التي تشغلها هذه الكلمة كما أن الجانب الدلالي في أي جملة لا يكتمل أو لا يتم إلى إذا وقف السامع على جميع الدلالات ولا سيما الدلالة المعجمية، و في هذا المبحث سنجد أن هناك تفاعلا مستمرا بين الوظائف التركيبية والمعاني المعجمية، و ذلك من خلال عرض بعض آراء العلماء قديما و حديثا.

فأول من تحدّث عن هذه العلاقة قديما سيبويه، إذ تناول المعجم في كتابه من جانبين، جانب خصّصه للحديث عن بعض القضايا المتعلقة بالمعجم العربي عامة، كقضيتي الترادف والمشترك اللفظي كما في باب (اللفظ للمعاني) الذي خصصه للحديث عن أبرز الظواهر المعجمية إذ يقول: " اعلمْ أنَّ مِنْ كلامِهم اختلافَ اللفظين لاختلافِ المعنيين، واخْتلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاقَ اللَّفظينِ واختلاف المعنيين"[1]، و لاشك أن مثل هذه الظواهر المعجمية مهمة في تشكّل كثير من التراكيب النحوية.

أما الجانب الآخر جعله لتفسير بعض معاني مفردات اللغة التي تشغل التراكيب النحوية فاهتم بشرح كثير من مفردات اللغة ؛ لأنه يرى أن هناك صلة وثيقة بين معنى الكلمة والوظيفة التي تشغلها في التركيب، وقد ذكر ذلك الرماني عند شرحه لكتاب سيبويه إذ بيّن العلاقة بين (تفسير الغريب) و(صناعة النحو) قائلا: " لمَ أدخلَ –أي سيبويه– في هَذا البابِ تفسيرَ الغريبِ وليس من صناعةِ النَّحو ؟ " ثم أجاب عن ذلك بقوله: " وإنَّما أدخلَ في هذا الباب تفسيَر الغريب للحاجة إليه في كشف الوجه الذي يقع عليه الإعراب، فجرى على طريق التبع للغرض، فهكذا يصلح أن يدخل في الصناعة ما كان من صناعة غيرها

[1]: عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج1، ص:24.

لمثل هذه العلة على هذا الوجه "[1]، و الرماني بهذا الفهم لكتاب سيبويه يبين أن العلة من ذكر تفسير الغريب في صناعة النحو هي كشف الوجه الإعرابي الذي يأخذه اللفظ، ولا يجوز لأي نحوي أن يُغفل جانب المعنى ويهتم بظاهر الإعراب، لأن معاني النحو ليست علاقات ظاهرية بين الألفاظ وإنما هي دلائل تُعيِّن الوظائف المعنوية للألفاظ في سياق الكلام.

ومن الأبواب التي تتضح فيها العلاقة بين المعني النحوي والمعجمي عند سيبويه، باب سماه " بابُ الاستقامةِ من الكلام والإحالة "، إذ يقول في هذا الباب:

" فمنه مُستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيم كذب، ومُستقيم قبيحٌ، وما هو مُحالٌ كذب.

فأما المستقيم الحسن؛ فقولك: أَتيتُك أمسِ، و سآتيكَ غداً.

وأما المحال ؛ فأن تنْقُضَ أوَّل كلامِك بآخره، فتقول: أَتَيتُكَ غداً، و سآتيكَ أمسِ.

وأما المستقيمُ الكذبُ؛ فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ ونحوه.

وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قَد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب، فأن تقول: سوفَ أشربُ ماءَ البحرِ أمس" [2].

ففي المثالين اللذين ساقهما سيبويه للكلام المستقيم الحسن، وهما : أتيتك أمس، و سآتيك غدا، نجد أن التوافق في الاختيار بين مفردات الجملة أي بين معانيها المعجمية، أدّى إلى سلامة العلاقة الوظيفية، فالمعنى المعجمي للفعل (أتى) يصِح وقوعه من الفاعل وهو في الجملة " المتكلم " وتُعبّر عنه تاء الفاعل، ويمكن أن يتحقق معنى المفعولية مع المعنى المعجمي للمفعول به، وهو الضمير (كاف الخطاب)، وصح تقييد هذا الإتيان بالظرف (أمس)؛ لأن المعنى المعجمي لهذا الظرف يدل على المضي فناسب زمن الفعل .

[1]: مازن المبارك، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، ط1، 1963م، ص:248.

[2]: سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج1، ص:25-ص:26.

ومن ثمّ أصبح الكلام مستقيما نحويا؛ لأنه لم يحدث تصادم بين عناصر الجملة (المفردات) والوظائف النحوية التي تربطها.

وفي المثال الثاني نجد أيضا توافقا بين عناصر الجملة، فالمعنى المعجمي للفعل(سآتيك) يدلّ على الاستقبال بسبب دخول أداة الاستقبال (السين)، فناسب دلالاته الظرف الذي يدل على الاستقبال وهو قوله:(غدا)، فصح لذلك أن تقوم علاقات نحوية بين مفردات هذه الجملة بسبب تآلف معانيها المعجمية، فلم يحدث تناقض أو تصادم بين قواعد الاختيار والوظائف النحوية ومعاني المفردات بدلالتها الأولية، ومن ثمَّ حكم سيبويه على هذين المثالين بالكلام المستقيم الحسن.

وأما المثالان اللذان ساقهما سيبويه للمحال هما : أتيتك غدا و سآتيك أمس، بعد أن عرّف المحال بقوله:" وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره " [1] ، يَدلُّ على أن سبب الإحالة في التركيبين النحويين هو تناقض المعاني المعجمية لمفرداتهما، ففي قوله: (أتيتك غدا) نجد أن اختيار الظرف (غدا) الذي يدل معناه المعجمي على الاستقبال لا يمكن أن يرد مع الفعل (أتى) الذي يدل معناها على الإتيان في زمن الماضي ؛ ولذلك صار تقييد زمن الإتيان الذي حدث فعلا بالظرف الدال على المستقبل تقضا أدى إلى أن صار الكلام محالا؛ لأن صيغة الماضي (أتى) في هذا التمثيل تفيد أنه وقع، وتقييده بالظرف المستقبل تفيد أنه لم يقع بعد، وفي قول سيبويه (سآتيكَ أمسِ) نجد أن معنى الفعل (سآتيك) الدال على الإتيان في الزمن المستقبل لا يتوافق مع الدلالة المعجمية للظرف (أمس)، ومن هنا أصبح الكلام محالا بسبب تقييد زمن الإتيان في المستقبل بالظرف الدال على زمن المضي[2].

[1]: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000م، ص:82.

[2]: ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مرجع سابق، ص:84.

ونجد أيضا أن عدم التوافق في اختيار المعاني المعجمية بين المفردات في قوله:"سوفَ أشربُ ماءَ البحرِ أمسِ " جعل سيبويه يحكم على هذا التعبير بالإحالة، و السبب في ذلك تقييد الفعل (أشرب)، بدلالته الأولية على الاستقبال بسبب دخول الأداة سوف، بالظرف الدال على زمن الماضي فحكم عليه بالكذب ؛ لأن العرف والمنطق يرفض أن يكون الفاعل في هذا التركيب صالحا للقيام بهذا الفعل مع المفعول به (ماء البحر).

ويعد سيبويه بهذا اللفتة الخاطفة قد أعطى المعنى المعجمي للمفردات التي تشغل التراكيب النحوية أهمية بالغة، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقوم علاقات تركيبية بين مفردات دون أن يكون هناك تلاؤما أو توافقا بين معاني مفرداتها، " فليس النظام النحوي مُعدّا للكلمات الهرائية أو للفراغ ولكنه معدٌّ لأن تتحقق في علاقاته المفردات الملائمة بدلالاتها الأولية التي تتفاعل مع الوظائف النحوية تفاعلا يُكسبها معناها المناسب ويتحقق به المعنى النحوي الدلالي "[1].

ومن العلماء الذين بيّنوا أهمية المعنى المعجمي في التركيب عبد القاهر الجرجاني صاحب فكرة النظم، إذ يقول: " واعْلَمْ أني لستُ أقولُ : إنَّ الفِكرَ لا يتعلَّق بمعاني الكَلِم المفردةِ أصلاً ولكنّي أقول : إنّه لا يَتعلَّق بها مُجَرَّدةً من معاني النَّحوِ ومنطوقاً بها على وجْهٍ لا يتأتّى معه تقديرُ معاني النحو وتوخّيها فيها كالذي أريتُك " [2]، ويقول في سياق أخر: " وأمرُ النَّظمِ في أنَّه ليس شيئاً غيرَ توخّي معاني النَّحو فيما بين الكَلِم، و أنك تُرتِّب المعاني أولا في نفسك ثم تحذُو على ترتيبها الألفاظَ في نُطْقك، و أنَّا لو فرضنا أن تخلُوَ الألفاظ من المعاني، لم يُتَصَوَّر أن يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور "[3] .

[1]: ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مرجع سابق، ص:85.

[2]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م، ص:410.

[3]: المرجع نفسه، ص:454.

فبالرغم من اهتمام عبد القاهر الجرجاني بأهمية ترتيب الكلمات ووضعها الوضعَ المناسب الذي يقتضيه نظامُ اللُّغة إلا أنه لم يُغفل دلالة الكلمة المفردة ؛ لأن نظم الكلام لا يتم إلاَّ بعدما يدرك المتكلم دلالة كل لفظة على حدة، ثم يتم له معرفة انضمام بعضها إلى بعض ليعرف ما بينها من فوائد، ومن ثم يدرك ما يترشّح عن هذا الانضمام من وظائف نحوية .

وإن أول ما يتوجب على المُعرب عند الجرجاني أن يعرف معنى اللفظ الذي سيعربه، وقد وضح هذا بقوله : " و لا يُتَصوَّرُ أن تَعْرِفَ للفظ موضعاً من غير أن تعرفَ معناه ولا أن تتوخَّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنَّك تتوخى الترتيب في المعاني وتُعْمِل الفكر هناك، فإذا تَمَّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقَفَوْت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فِكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدُها تَترتَّب لك بِحُكم أنها خَدَمٌ للمعاني "[1]، هذا النص يؤكد أن المُعرب لا يستطيع أن يعرف للفظ تركيبا نحويا إلا بعد معرفة معاني الكلمات وما بينها من علاقات معجمية، فالعلاقات بين المفردات لا يمكن أن تنشأ أو تقوم إلا إذا تصوّر المعرب معانيها في ذهنه أولا.

[1]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص:53-ص:54.

المطلب الثاني: تقاطع النحو بالمعنى

إن للنَّحو قيمةً كبيرة في تحليل النصوص؛ إذ أنَّه يتيح لمحلِّل النصِّ الوقوفَ على الظواهر التركيبيَّة لنصٍّ ما، ومن ثَمَّ الوقوف على ما تحمله تلك الظواهر التركيبيةُ من إمكانات دَلاليَّة وبلاغية؛ لأن العلاقةَ بين النحو والمعنى علاقةٌ وثيقة، حيث لا يتَّضح معنى نصٍّ ما إلا من خلال تحديد وظيفةِ الكلمة في تركيب النصِّ، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، وكيفيتها من حيث التقديمُ والتأخير، وإنَّ أي تغيُّر في شكل التركيب لا بد وأن يتبعَه تغيُّرٌ في المعنى المراد.

وها هو ابن جني (ت 392 هـ) يؤكِّد عناية العرب بالمعنى في خصائصه فقد عقد باباً بعنوان (باب في الرَّد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) فيقول:" اعلم أنَّ هذا الباب من أشرف فصول العربيَّةِ وأكرمِها، وأعلاها، وأَنزهِها، وإذا تأمَّلتَه عرفتَ منه وبه ما يُؤْنِقُكَ، ويذهب في الاستحسان له كل مَذهب بك، وذلك أنَّ العرب كما تعنى بألفاظها فَتُصْلِحُها وتهذِّبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها، ... فإنَّ المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها ... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسَّنوها، وحَمَوا حواشيها وهذَّبوها ... فلا تَرَينَّ أنَّ العناية إذ ذاك إنَّما هي بالألفاظ بل هي عندنا خِدمةٌ منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها "[1]، فإذا تمعنَّا في كلام ابن جني فهمنا أنه يوجد من اتهم العرب بالاهتمام باللفظ دون المعنى وهذا محال، ذلك أن العرب إنما اهتمت باللفظ فأصلحته وهذبته خدمة المعنى.

يقول عبد القاهر الجُرجاني موضِّحًا العلاقةَ بين ترتيب الكلمات والمعاني في النفس: "وممَّا يجب إحكامه بعقبِ هذا الفصلِ : الفرقُ بين قولنا: "حروف منظومة" و"كلِمٌ منظومة"؛ وذلك أنَّ نظمَ الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمُها بمقتضًى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسمًا من العقل اقتضَى أن يتحرَّى في نظمه لها ما تحرَّاه، فلو أنَّ

[1]: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، مرجع سابق، ج1، ص:215-ص:217.

واضع اللُّغة كان قد قال: "ربض" مكان ضرب، لَما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثارَ المعاني وتُرتِّبها على حسَب تَرتُّب المعاني في النَّفس، فهو إذًا نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المَنظُوم بعضه مع بعض، وليسَ هو النظمَ الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتَّفق" [1]، من هنا نفهم الفرق الواضح بين الحروف المنظومة والكلم المنظوم ذلك أن الأول يقتضي تنظيم الحروف وتواليها دون مراعاة المعنى، أما الكلم المنظوم فهو يراعي أثر المعنى في سياق معين.

ثم يُبين أثرَ إغفال النحو في ترتيب تلك الكلمات وَفْقًا للمعاني التي تجول في النفس: "وأنك إن عمَدت إلى ألفاظ فجعلتَ تُتبع بعضَها بعضًا من غير أن تتوخَّى فيها معانيَ النحو، لم تكن صنعتَ شيئًا تُدعَى به مؤلِّفًا"[2].

يتَّضح إذًا أهمية النحو في بناء التركيب، ثم أهميَّته في تحليله، فمُنشئُ النصِّ يستخدم النحوَ في بناء النص، ويُوظِّف ما يقدمه من تراكيبَ مختلفةٍ لأداء المعاني المختلفة، وهو لا يختار التَّركيب اختيارًا عشوائيًّا، وإنما يعمِد إلى اختيار التركيب الذي يؤدِّي المعنى الذي يريده، و يُلائم السِّياقَ الذي يُورده فيه، فقد يكون هناك أكثرُ من تركيبٍ يؤدي معنى واحدًا، ولكن كلَّ تركيب يحمل دَلالة لا يحملُها غيرُه من التراكيب، وحينئذٍ لا بدَّ أن يختار مُنشئ النصِّ التركيبَ المناسب، مع عدم إغفالِ السياق؛ فقد يكون لتركيبٍ ما دلالة معيَّنة في سياقٍ ما، ثم يأتي نفسُ التركيب في سياق آخرَ حاملاً دَلالة أخرى، فدلالة التركيب الواحد تختلف من سياقٍ لآخر، و كتب النحو مليئةٌ بذكر المعنى؛ فهو محور دراستِهم وأبحاثهم، بل يهتمُّ النحاة بالمعاني الدقيقة والبليغة للتَّراكيب، ومن ذلك ما رواه ابنُ الأنباري عن الكِندي المتفلسف أنه قال للمبرد (ت 285هـ): "إنِّي لأجد في كلام العرب حشوًا، فقال له أبو العباس المبرِّد: في أيِّ موضع وجدت ذلك؟ فقال الكِندي: أجد العربَ يقولون: "عبدُ الله قائم"، ثم

[1]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص:49.

[2]: المرجع نفسه، ص:370-ص:371.

يقولون: "إنَّ عبدَ الله قائمٌ"، ثم يقولون: "إن عبد الله لقائم"، فالألفاظ متكرِّرة والمعنى واحد، فقال أبو العبَّاس: بل المعاني مختلفة؛ لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم: "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم: "إن عبد الله قائم" جواب عن سؤالِ سائل، وقولهم: "إن عبد الله لقائم" جوابٌ عن إنكارِ منكِرِ قيامِه، فقد تكرَّرت الألفاظ؛ لتكرُّر المعاني" [1].

ففي هذا النص ثلاثةُ تراكيب مختلفةٍ تؤدِّي في الظاهر معنى واحدًا، وهو: "قيام زيد"، ولكن التأمُّل الدقيق في التراكيب الثلاثة يجعلُنا نصل إلى أنَّ لكل تركيب دَلالةً دقيقة ناتجة عن تغيُّرِ صورة التركيب؛ مما يجعل لكلِّ تركيب استعمالاً لغويًّا معيَّنًا في مقام معين يختلف عن استعمال ما سواه من تراكيب.

ومن ثم يتبيَّن مما سبق أهميَّة النحو العربي؛ فهو من جهةٍ يصون لسانَ المتكلِّم من الزلل، ومن جهة أخرى يُعينه على الإبداع في كتاباته، كما يتيح للقارئ أن يفهم ما تشتمل عليه النُّصوص الأدبية الفصيحة وعلى رأسها القرآنُ الكريم .

[1]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص:315.

المطلب الثالث: تقاطع النحو بالتفسير

يرتبط النحو العربي ارتباطا وثيقا بفهم القرآن الكريم وعلومه، فقد كان السبب الرئيسي لنشأته هو خشية علماء المسلمين و خوفهم من تحريف القرآن الكريم و محاولة حمايته من ظاهرة اللحن التي انتشرت في اللغة العربية كانتشار النار في الهشيم.

و يعتبر النحو العربي إتباع لكلام العرب في كيفية صياغتهم للكلام الفصيح، وسمي نحوا لأن المتكلم ينحو به نهجهم وأساليبهم في الكلام،وهو ما عبر عنه ابن جني (ت 392هـ) في تعريفه بأنه: " انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة" [1].

و العلاقة وثيقة بين علم النحو وعلوم القرآن وخاصة بعلم التفسير ذلك أن فهم القرآن الكريم وتفسير معاني آياته الجليلة مرتبط بمعرفة النحو لأن بواسطته فهم كلام الله تعالى، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي (ت 660 هـ) رحمه الله: "من تبحر في النحو اهتدى إلى جميع العلوم"، ويقول أيضا : "لا أسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو"[2]، و لقد كانت الغاية التي وُضع علم النحو من أجلها هي إدراك مقاصد القرآن الكريم وفهم معانيه، ولهذا حث العلماء على الأخذ بأسباب هذا العلم لأن " الألفاظ مُغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المُستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نُقصان كلام ورُجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه " [3].

---

[1]: ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، (د ط)، (د ت ن)، ج1، ص:34.

[2]: ابن عمال شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص:407.

[3]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص:28.

وتكمن أهمية علم النحو في إبانة الفوارق بين المعاني، ولهذا حث العلماء على تعلمه، فهذا ابن خلدون (ت 808هـ) في مقدمته، يبين مكانة علوم اللغة وفي مقدمتها علم النحو وضرورته في تحصيل علوم الشريعة فيقول : " إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة " [1].

إن فهم النص القرآني متوقف على معرفة علوم العربية لأنه به نزل، ولذلك يشترط على المؤلف الإلمام بقواعد النحو حتى يتمكن من الوصول إلى المعنى الصحيح والدقيق، فهذا الإمام السيوطي (ت 911هـ) –رحمه الله– يشترط على المفسر أن يكون متمكنا من جملة من العلوم العربية؛ وفي مقدمتها علم النحو.

و لبيان منزلة علم النحو، وأثره في التفسير، اشترط العلماء في المفسر العلم به، والتبحر فيه، إذ جعلوا علوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة، من أبرز العلوم التي يحتاج إليها المفسر، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب [2]، قال الزركشي (ت 794هـ) في البرهان : " التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات" [3]، وواضح من تعريفه – رحمه الله – أن علم النحو وثيق الصلة بعلم التفسير إذ هو وسيلة لفهم كتاب الله، واستخراج معانيه وأحكامه.

وقد ذكر الإمام الطبري (ت 310هـ) أن قصده من تأليف تفسيره هو الكشف عن تأويل آي القرآن الكريم، وبيان وجوهه، وأن ما يتعرض له من الإعراب إنما هو وسيلة

---

[1]: عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، سوريا، ط1، 2004، ج2، ص:367.

[2]: ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، 1974م، ج4، ص:213.

[3]: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج1، ص:13.

لتحقيق ذلك، يقول في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧[1]﴾ و بيان أوجه إعرابها: "... وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه، وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله، فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه، لتتكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلِفِ في تأويله وقراءاته"[2].

و هنا يتبين لنا مكانة النحو في تفسير القرآن الكريم، فهو وسيلة لفهمه، وطريق إلى تحليل تراكيبه وصولا إلى المعنى الصحيح، وعدم الزيغ في تفسيره،: " فلولا الإعراب ومعرفة قواعده، ما كان لنا أن نفهم معاني القرآن المبين، ولا أن ندرك مواطن جماله، ومَحَالَّ بلاغته وإعجازه ... [3]، قال القيسي: "بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد "[4].

وواضح من التعاريف أن علم التفسير له صلة وثيقة بعلم النحو فهو الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك فلولا الإعراب ما استطعنا فهم القرءان الكريم، فتعدد الأوجه الوظيفية في التركيب الواحد يؤدي إلى تعدد المعاني فتظهر الفوائد الجمة في السياق الواحد.

---

[1]: سورة الفاتحة/الآية:07.

[2]: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ج1، ص:185.

[3]: سميح عاطف الزين، الإعراب في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص:51.

[4]: مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984م، ج1، ص:63.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية آيات قرآنية

المطلب الأول: أثر تعدد الأوجه الإعرابية في تفسير آيات من سورة التوبة

التعريف بسورة التوبة:

سورة التوبة هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف، وعدد آياتها مائة و تسع وعشرون آية عند الكوفيين، ومائة وثلاثون آية عند جمهور العلماء.

أسماؤها:

عرفت هذه السورة منذ العهد النّبوي بجملة من الأسماء منها:

(أ)-التوبة: وسمّيت بهذا الاسم لتكرار الحديث فيها عن التّوبة والتّائبين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴿٣﴾[1] ﴾ .

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾[2] ﴾ .

و قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾[3] ﴾ .

و قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾[4] ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تكررت في هذه السورة عن التوبة والتائبين.

(ب)-براءة: وسميت بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾[5] ﴾.

وهذان الاسمان- التوبة وبراءة- هما أشهر أسماء هذه السورة الكريمة.

---

[1]: سورة التوبة/الآية:03.

[2]: سورة التوبة/الآية:11.

[3]: سورة التوبة/الآية:27.

[4]: سورة التوبة/الآية:106.

[5]: سورة التوبة/الآية:01.

(ج)- الفاضحة: وسميت بهذا الاسم لحديثها المستفيض عن المنافقين وصفاتهم وأحوالهم.. وفضيحتهم على رءوس الأشهاد [1].

وقد تطرَّقنا إلى خمس مسائل اختُلف في إعرابها في هذه السورة، كل مسألة تحتوي على وجهين أو ثلاثة أوجه إعرابية، و كل وجه يحتوي على معنى عند علماء النحو و علماء التفسير وبيان ذلك فيما يلي:

المسألة الأولى:

قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾[2].

أوجه الإعراب: قوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: أنّها خبر لمبتدأ محذوف، أي هذه براءة.

الثاني: أنّها رفع بالابتداء.[3]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مرفوعة بمحذوف و هو "هذه" كما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١﴾[4]،

مرفوعة بمحذوف "هذه "أي "هذه سورة أنزلناها" لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل مُعايَن نكرة كان أو معرفة، ذلك المُعاين "هذه" يقولون عند معاينتهم لشيء حسن "حسن والله" و"سيء والله "و يريدون "هذا حسن والله" و "هذا سيء والله "[5].

---

[1]: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1997م، ج6، ص:177.

[2]:سورة التوبة/الآية:01.

[3]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح:علي محمد البجاوي، مؤسسة عيسى البابي الحلبي، ج2، ص:634.

[4]:سورة النور/الآية:01.

[5]: انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج11، ص:303.

أمّـا المعنـى الثـاني البـراءة صـدرت مـن الله ورسـوله، علـى الابتـداء، والتقـدير: بـراءة مبتدأة من الله ورسوله و أصلها إلى الذين عاهدتم من المشركين، و هذا يعني أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي كان بينكم و بين المشركين [1].

وقد أدّى التنوع في الأوجه الإعرابية إلى التنوع في المعنى التفسيري للآية ففي المعنـى الأول : و هو حذف المبتدأ و تقديره " هذه براءة " فاسم الإشارة "هذه" منح الخبر ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مزيدا من القوة و الوضوح بل حدده تحديدا واضحا و ميزه تمييزا كاشفا.

أمّا المعنى الثاني: فكانت ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مبتدأ من الله و رسوله و واصلة إلى المشركين، و لما كانت براءة مرفوعة بالابتداء احتاجت إلى الخبر الذي يوضح الإبهام و هو "من الله و رسوله إلى الذين عاهدتم".

المسألة الثانية:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ ﴿٧﴾ [2].﴾

أوجه الإعراب: في قوله:﴿كَيْفَ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: في قوله: ﴿كَيْفَ﴾ خبر يكون وقدم للاستفهام.

الثاني: حال.[3]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنـى الأول في قولـه تعالى:﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام في معنـى الاستنكار والاسـتبعاد، وهـو واجـب التقـديم؛ لأن الاسـتفهام لـه صـدر الكـلام، و﴿عَهْدٌ﴾ اسـم يكـون

[1]: انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج10، ص:103.

[2]: سورة التوبة/الآية:07.

[3]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:636.

مؤخر، والتقدير: يكون عهد المشركين كيف؟ أي: على أي وجه يكون للمشركين عهد، وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي، فمستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد، فلا تطمعوا في ذلك، ولا تحدثوا به نفوسكم [1].

أمّا المعنى الثاني فالتقدير: كيف يكون عهد موجودا للمشركين، و { كَيفَ} في محل نصب حال، والمعنى: بأي صفة وأي كيفية يثبت للمشركين عهد من العهود عند الله، يقره لهم في كتابه، وعند رسوله يفي لهم به، وتفون به إتباعا له، وحالهم إضمار غدرهم ونقض عهودهم[2].

وقد أثّر اختلاف الإعراب في المعنى التفسيري للآية ففي الوجه الأول أُعربت

﴿كَيْفَ﴾ خبر يكون مؤخر، فقد جاء المعنى للاستعباد و النفي، و جاءت كيف لتفيد النفي أي لا يكون عهد للمشركين باستثناء الذين عاهدتم عند المسجد الحرام.

أما الوجه الثاني فقد جاءت كيف حالا باعتبار الآية "كيف يكون" تقدر و تصبح "بأي صفة يثبت للمشركين عهد".

المسألة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ ﴿٧﴾ [3].﴾ .

أوجه الإعراب: قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ تحتمل﴿فَمَا﴾ وجهين من الإعراب:

الأول: مصدرية زمانية.

---

[1]: انظر: محمد عبد الله الشوكاني، فتح القدير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، لبنان، ط1، 2007م، ص:558.

[2]: انظر: أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،تح: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م، ج10، ص:21.

[3]: سورة التوبة/الآية:07.

الثاني: شرطية. [1]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول {مَا} في محل نصب على الظرفية، وهي بتقدير مضاف، والتقدير: استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم، أي بمعنى: ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم.[2]

أمّا المعنى الثاني ﴿فَمَا﴾شرطية في موضع رفع بالابتداء، والفاء الواقعة في قوله﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾الفاء جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر {مَا}، والتقدير: فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم، وحلت دماؤهم.[3]

أفاد الاختلاف في إعراب {مَا} تنوعا في المعنى التفسيري بما يزيد المعنى و يوضحه، ففي الوجه الأول عندما تكون ما مصدرية: يعني ذلك استقامتكم لهم تكون مقرونة بزمن محدد و هو مدة استقامتهم لكم.

و أما الوجه الثاني عندما تكون {مَا} شرطية فجواب الشرط جاء مقرونا بالفاء وهذه الفاء تأتي لتأكيد الربط بين فعل الشرط وجواب الشرط ،أي بمعنى استقامتكم لهم مقرونة باستقامتهم لكم، ومتى ما نقضوا العهد فانقضوا العهد مباشرة و لا يجوز أن تكون "ما" نافية إذ يصير المعنى لم يستقيموا لكم فاستقيموا لهم.

[1]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:636.

[2]: انظر: أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ج10، ص:23.

[3]: انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 10، ص:122.

المسألة الرابعة:

قولـه تعـالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾[1] .

أوجه الإعراب: قوله تعالى:﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ تحتمل وجهين من الإعراب:

الأول:الجملة في محل نصب حال.

الثاني: الجملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب. [2]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول المأوى حيث يأوي الإنسان ويستقر، والمعنى: افعل ذلك يا محمد أنت ومن معك من مجاهدة الكفار والغلظة عليهم في حال استحقاقهم جهنم، وتلك الحال بسبب كفرهم ونفاقهم [3] .

أمّا المعنى الثاني الاستئناف هنا لبيان أجل أمرهم إثر بيان عاجله، فالله يخبر عن الكفار والمنافقين بهذه الآية و المعنى: مقرهم الذي لا يخرجون منه ومسكنهم هو جهنم، وهي مثواهم ومأواهم [4].

هذه المسألة تحتمل وجهين من الإعراب و لكل وجه معنى أما الوجه الأول:

﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ تعرب حالا فلما خفيت حال الكفار بعد أن جاهدهم النبي صلى الله عليه و سلم وأغلظ عليهم، جاءت كلمة { وَمَأۡوَىٰهُم } فبينت الحالة التي يكون عليها بعد الموت.

---

[1]: سورة التوبة/الآية:73.

[2]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:651.

[3]: انظر: محمد عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج3، ص:60.

[4]: انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج11، ص:569.

أما الوجه الثاني: فهي جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب وضحت و بينت حال الكفار بعد الموت، حتى ولو لم يجاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم فإن مأويهم جهنم.

المسألة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ ﴿٧٤﴾[1]﴾ .

أوجه الإعراب:قوله تعالى: ﴿ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: في محل نصب مفعول به للفعل ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾

الثاني: في محل نصب مفعول لأجله.[2]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول ﴿ إِلَّآ﴾ أداة حصر، و ﴿ أَنۡ﴾ حرف مصدري،﴿ أَغۡنَىٰهُمُ﴾ فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف للتعذر، وجملة {أَن أَغنَىٰهُمُ} في موضع نصب مفعول به للفعل { نَقَمُوٓاْ}، و {نَقَمُوٓاْ} تعني: كرهوا، والمعنى: وما كرهوا وعابوا إلا إغناء الله إياهم، وهو استثناء تهكمي[3].

أمّا المعنى الثاني المفعول به محذوف، والتقدير: وما نقموا منهم الإيمان إلا لأجل إغناء الله إياهم، والمعنى: وما أنكروا ما أنكروا لعلة من العلل إلا لإغناء الله إياهم، والضمير في قوله: {أَغنَىٰهُمُ} على هذا يكون عائد للمؤمنين، فيكون الكلام متضمنا ذم المنافقين بالحسد [4].

---

[1]: سورة التوبة/الآية:74.

[2]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:651.

[3]: انظر: أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ج10، ص:148.

[4]: انظر: أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ج10، ص:149.

وعلى هذا يكون تنوع أوجه الإعراب في قوله: {أَن أَغنَىٰهُمُ} على معنيين مختلفين لكل وجه بما يبرز دور الإعراب وأثره في التفسير، فتارة بالنصب على المفعولية وما أفاده في المعنى، وأخرى بالنصب على أنه مفعول لأجله مبين لعلة إنكارهم.

المطلب الثاني: أثر تعدد الأوجه الإعرابية في تفسير آيات من سورة يوسف

التعريف بسورة يوسف عليه السلام:

سورة يوسف- عليه السلام- هي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول، فكانت السورة الثالثة والخمسين، وكان نزولها بعد سورة هود- عليه السلام-.

وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية.

وجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر، لأنها مشتملة على قصته- عليه السلام- مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت..

ولم يذكر اسم يوسف- عليه السلام- في غير هذه السورة سوى مرتين: إحداهما في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾[1]﴾ .

والثانية في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾[2]﴾ .

والقول الصحيح أن سورة يوسف جميعها مكية، ولا التفات إلى قول من قال بأن فيها آيات مدنية، لأن هذا القول لا دليل عليه.[3]

سورة يوسف- عليه السلام- كان نزولها بعد سورة هود، ويبدو أن سورة يوسف كان نزولها بعد فترة الإسراء والمعراج، التي تعتبر من أشق الفترات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذ تعرض خلالها للكثير من أذى المشركين، بعد أن فقد صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة عمه أبو طالب، وزوجه السيدة خديجة- رضي الله عنها [4].

---

[1]: سورة الأنعام/الآية:84.

[2]: سورة الأنعام/الآية:34.

[3]: انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مرجع سابق، ج7، ص:299.

[4]: انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مرجع سابق، ج7، ص:300.

وقد تطرَّقنا في هذه السورة إلى خمس مسائل أختلف في إعرابها، كل مسألة تحتوي على وجهين أو ثلاثة أوجه إعرابية، و كل وجه يحتوي على معنى عند علماء النحو و علماء التفسير وبيان ذلك فيما يلي:

المسألة الأولى:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥[1].﴾ .

أوجه الإعراب:

قوله: ﴿كَيۡدًا﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: مفعول به منصوب.

الثاني: مفعول مطلق.[2]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول {كَيدًا} مفعول به، والمعنى فيضعون لك أمرًا يكيدك، وهو مصدر في موضع الاسم، وهو يتعدى بنفسه أو بحرف الجر، وعلى هذا (اللام) في قوله (لك) فيها وجهان:

الأول: هي للعلة، بمعنى من أجلك، أي: فيفعلوا لأجلك ولإهلاكك كيدا مثبتة راسخة لا تقدر على الخلاص منه، أو كيدا يخفى عن فهمك وإدراكك.

الثاني: هي متعلقة بصفة قدمت فصارت حالا.

أمّا المعنى الثاني ﴿كَيۡدًا﴾ مفعول مطلق، وعلى هذا ففي (اللام) ثلاثة أوجه، منها الاثنان الماضيان، والثالث: أن تكون زائدة لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه[3].

---

[1]: سورة يوسف/الآية:05.

[2]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2،ص:722.

[3]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:722.

فتعدد الوجه الإعرابي في قوله: كيدا أدى إلى الاختلاف في معنى الآية، ففي الوجه الأول وقع الفعل يكيدون على المفعول به كيدا و تقديره يفعلون لك أو لأجلك كيدا على وزن فعلا، و معنى الكلام أنهم يفعلون لك فعلا ليسلموا من تفوقك عليهم واللام في "لك " جاءت لتأكيد صلة الفعل بمفعوله .

أما الوجه الثاني: و هو في محل نصب مفعول مطلق و جاء لتأكيد الفعل و هو يكيدون.

المسألة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[1] .

أوجه الإعراب:

قوله: ﴿فَصَبۡرٞ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الأول: مبتدأ وخبره محذوف.

الثاني: خبر لمبتدأ محذوف.[2]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول ﴿فَصَبۡرٞ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف و ﴿جَمِيلٞ﴾ صفة للمبتدأ، والتقدير: فصبر جميل أولى من الجزع أو أجمل أو أمثل، والمعنى: فصبر جميل أمثل بي

وأولى بي من الشكوى واليأس[3].

[1]: سورة يوسف/الآية:18.

[2]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:726.

[3]: انظر: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج3، ص:227.

أمّا المعنى الثاني ﴿فَصَبۡرٞ﴾ خبر لمبتدأ محذوف دل عليه السياق، والتقدير : فأمري صبر جميل أو فشأني صبر جميل، والمعنى: فشأني أو الذي اعتقده صبر جميل، أي : فالذي عندي بعد ما عملتموه في أخيكم هو صبر جميل لا شكوى فيه ولا جزع [1].

وعلى هذا الخلاف حملت كلمة ﴿فَصَبۡرٞ﴾ وجهين من الإعراب و لكل وجه منها معنى: أما الوجه الأول: و هو حذف الخبر و تقدير الكلام "فصبر جميل أولى من الجزع "فحذف الخبر لأنه معلوم ولأن الأنبياء لا يليق بهم الجزع واليأس ومن ذلك قول يعقوب:" إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكفرون" .

أما الوجه الثاني: و تقديره"أمري صبر جميل" فقد حذف المبتدأ لأن المتكلم صرح بالصبر أي سأصبر على قدر الله ثم دعته الحاجة ألا ينسب الصبر إلى نفسه مخافة ألا يقدر فقال فصبر جميل.

أما المعنى البلاغي: فقد حذف المبتدأ لضيق المقام عن إطالة الكلام.

المسألة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [2] .

أوجه الإعراب:قوله: ﴿بَدَا﴾ فعل ماض وفي فاعله وجهان:

الأول: الفاعل محذوف، ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ قام مقامه.

الثاني: الفاعل مضمر، وهو ما دل عليه الكلام.[3]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

[1]: انظر: مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، مرجع سابق، ج1، ص:382.

[2]: سورة يوسف/الآية:35.

[3]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:732.

في المعنى الأول الفاعل محذوف لدلالة ما يفسره، وهو قوله: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ فهو قام مقامه، والتقدير : بدا لهم سجنه أو حبسه، و الضمير في﴿ بَدَا لَهُم﴾ للعزيز وأصحابه الذين يدبرون الأمر معه، ويشيرون عليه، والمعنى: ظهر لهم من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف أن يسجنوه.[1]

أمّا المعنى الثاني الفاعل هنا هو ما دل عليه الكلام، وهو ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى، والتقدير: بدا لهم الرأي وهو أنهم يسجنوه، والمعنى: ثم بدا لهم ما لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأن الكلام دل عليه [2].

الخلاف في تحديد الفاعل في هذه المسألة أدى إلى تعدد التفاسير .

أما المعنى الأول وهو أن الفاعل محذوف و قد قام مقامه جملة ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ فالضمير في بدا لهم يعود على العزيز و أصحابه و المعنى بدا أو ظهر السجن للعزيز وأصحابه.

أما المعنى الثاني: الفاعل مضمر و هو ما دل عليه الكلام فهنا الفاعل يعود على التدبير الذي يدبرونه أو الفعل الذي يفعلونه و تقديره: بدا لهم الفعل أو التدبير.

المسألة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۚ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤[3]﴾ .

أوجه الإعراب:قوله: ﴿حَٰفِظٗا﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

[1]:انظر: محمد عبد الله الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص:695.

[2]:انظر: أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ج11، ص:98.

[3]: سورة يوسف/الآية:64.

الأول: حال منصوب بالفتحة.

الثاني: تمييز منصوب بالفتحة.[1]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول قوله:﴿حَٰفِظًا﴾ نصبه هنا على الحال؛ والمعنى: أن يعقوب – عليه السلام– رد لفظهم بعينه إذ قالوا: {وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} فأخبرهم أن الله هو الحافظ ؛ فجرى اللفظان على سياق واحد، كأنه قال: خذوه معكم فإني قد فوضت الله أمري حال كونه حافظا من كل مكروه [2].

أمّا المعنى الثاني انتصب قوله: ﴿حَٰفِظًا﴾ على البيان والتفسير، أي: التمييز، والتقدير: هو خير منكم حافظا كقولهم: هو خيرهم رجلا؛ والمعنى: أنهم نسبوا إلى أنفسهم حفظ بنيامين، فقالوا: {وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} فرد عليهم يعقوب –عليه السلام– ذلك بقوله تعالى: خير حافظا من حفظكم، والله تعالى موصوف بأن حفظه يزيد على حفظ غيره، وفيه التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور[3].

اختلاف الأوجه الإعرابية في قوله: { حَٰفِظا } أدى إلى الاختلاف في المعنى و قد خدم التفسير بإضافة معان جديدة أما المعنى الأول: فقد جاءت كلمة : {حَفِظا} حالا أي سأرسله معكم حال كون رب العالمين حافظا لولدي، فكلمة حال بينت و وضحت الهيئة: ٱللَّهُ الحافظ.

---

[1]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:737.

[2]:انظر: أبو جعفر النَّحَّاس، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2001م، ص:455.

[3]: انظر: أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج11، ص:396.

أما المعنى الثاني فقد جاءت كلمة﴿حَٰفِظًا﴾"تمييزا إذ ميز بين حفظ أخوة يوسف لأخيهم وحفظ الله وتقدير ذلك "حفظ الله له خير من حفظكم".

المسألة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [1].﴾ .

أوجه الإعراب: قوله:﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ تحتمل الجملة وجهين من الإعراب:

الأول: جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

الثاني: في موضع نصب حال.[2]

المعنى التفسيري لأوجه الإعراب:

في المعنى الأول قوله:﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الجملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب، ومفعول ﴿ أَدۡعُوٓاْ ﴾ محذوف، والتقدير: أدعو الناس أو الخلق، وقد فسّرت هذه الجملة ما في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ من الإيهام، والمعنى: الجملة وكأنها جواب سؤال نشأ بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ فهي جملة مبهمة؛ فيأتي هنا سؤال مقدر يقول: ما هو سبيلك؟ فإذا بالجواب يقول: أدعوا الخلق إلى الله، وإلى التوحيد والإعداد للمعاد، وذلك على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء[3] .

---

[1]: سورة يوسف/الآية:108.

[2]: انظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص:747.

[3]: انظر: أبو العباس، شهاب الدين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد محمد، دار القلم، دمشق، ج6، ص:561.

أمّا المعنى الثاني الجملة في موضع نصب حال من الياء وهو الضمير في قوله: ﴿ سَبِيلِيٓ﴾، والمعنى: هذه سبيلي في دعوتي حال كوني أدعو الخلق إلى الله دعاء كائنا على بصيرة[1].

اختلاف في الأوجه الإعرابية في قوله "أدعوا على بصيرة" أدى إلى اختلاف المعنى فيخرج المعنى لنا حسب تقدير موضع الجملة، ففي الوجه الأول في قوله تعالى { أَدعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ} فسرت الإبهام الموجود في قوله تعالى﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ كأنها جواب لنوع السبيل الذي سوف يسلكه النبي صلى الله عليه وسلم، أما المعنى الثاني: فهي توضح الحالة التي يكون عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق التي يسلكها .

[1]: انظر: أبو العباس، شهاب الدين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مرجع سابق، ص:561.

الخاتمة

خاتمة :

في هذا البحث توصّلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- ✓ كانت نشأة علم النحو لغايات متعددة، أهمها الغاية الدينية وهي صون القرآن الكريم والمحافظة عليه من اللحن، ولغاية تعليمية كذلك كتعليم الموالي والوافدين على الإسلام أصول ومبادئ العربية.
- ✓ اللغة العربية هي لغة القران الكريم، و بها نزل، فالارتباط بينهما وثيق، ففهم القرآن وتدبر معانيه لا يتأتى إلا بفهم لغته.
- ✓ للنحو أصول و أدلة اعتمدها العلماء لضبط قواعدهم اللغوية.
- ✓ ظهور المدارس النحوية في أقاليم متعددة حافظ على اللغة العربية من اللحن، و ذلك بعد انتشار الإسلام في مناطق مختلفة.
- ✓ أهمية علم النحو والإعراب بالنسبة لعلم التفسير، فلابد أن يكون المفسر، أو من يهتم بعلم التفسير عالما بالعربية وبكل فنونها، وأولها فن النحو.
- ✓ بيان إعجاز القرآن الكريم في إيجازه، وكيف أن المفردة الواحدة تحتمل أكثر من مدلول تبعا لاختلاف إعرابها.
- ✓ اختلاف حركات الإعراب في الكلمة الواحدة ظهر أكثر من مدلول المعنى الكلمة، مما يبين أثر علم النحو في التفسير
- ✓ إن فهم القرآن الكريم، وتوضيح المعنى الذي تنشده الآيات القرآنية، وبيان ما تقصده من دلالات، يقتضي معرفة الإعراب، فلا بد أن يكون المفسر، أو من يهتم بالتفسير عالما باللغة العربية وبكل فنونها، و أولها فن النحو.
- ✓ الدراسة التطبيقية أظهرت أثر اختلاف حركات الإعراب في تفسير القرآن الكريم، فقد بيّنت ما أفرزه هذا الاختلاف في إعراب القرآن الكريم من تنوع وتعدد في المعاني

التفسيرية، مما أسهم في إثراء التفسير، وساعد في إدراك وفهم معنى الآيات من جميع جوانبها.

- ✓ ظهر أثر اختلاف حركات الإعراب الناتج عن اختلاف القراءات المتواترة، بما يبين أثر القراءات في التفسير، وعلاقتها بعلم الإعراب
- ✓ أصول النحو العربي هي مجمل الأدلة والأحكام والمناهج التي اعتمدها اللغويون العرب في تقعيد القواعد واستنباطها، من أجل وضع النحو العربي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

- ابن عمال شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1988م، ج2.
- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح : محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، د ط، 1997م، ج2.
- أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح:علي محمد البجاوي، مؤسسة عيسى البابي الحلبي،ج2.
- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح : محمد أبو الفضل، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د ط، 1955م.
- أبو العباس، شهاب الدين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد محمد، دار القلم، دمشق، ج6.
- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح : محمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1952م، ج1.
- أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي ناصف و آخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1966م، ج1.
- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ج15.
- أبو القاسم الزَّجَّاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت، ط3، 1979م.

- أبو بكر ابن السراج، الأصول في النحو، تح : محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2009م، ج1.
- أبو جعفر النَّحَّاس، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2001م.
- أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج11.
- أبو محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج3.
- أبو حفص بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،تح: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م، ج10.
- أبي البركات ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985م.
- أبي سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح : محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1955م.
- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، (د ط)، 1979م، ج5.
- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح : عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، باب النون، ج4.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج1.

- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ، 1988م، ج1.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1974م، ج4.
- شمس الدين ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د م ن، د ط، د س ن،ج1.
- شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج1.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، سوريا، ط1، 2004، ج2.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992م.
- محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 1983م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، ج1.
- محمد بن إسحاق ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997م.
- محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1971.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1،2001م، ج11.

- محمد بن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د ط، د ت ن، ج1.
- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1997م، ج6.
- محمد عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج3.
- محمد عبد الله الشوكاني، فتح القدير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، لبنان، ط1، 2007م، ص:558.
- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2.

المراجع:

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- أحمد مكّي الأنصاري، أبو زكريا الفرّاء، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة، د ط، 1964م.
- تمام حسان، الأصول، دار عالم الكتب، القاهرة، د ط، 2000م.
- جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1982م، ج1.
- خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط2، 1968م.
- خضر موسى محمد، النحو والنحاة المدارس والخصائص، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 2003م.
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999م.

- سميح عاطف الزين، الإعراب في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، د ت ن.
- طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.
- عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط2، 1978م.
- عبد الله أحمد، النحو العربي عماد اللغة و الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002م.
- عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1980م.
- علي محمد الياسري، الفكر النحوي عند العرب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2003م.
- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، عمادة شؤون المكتبات–جامعة الرياض، السعودية، ط1، 1981م.
- مازن المبارك، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، ط3، 1963م.
- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م.
- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1938م.
- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، دار الشروق، ط1، 2000م.

- محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1987م.
- مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984م، ج1.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.
- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط2، 1985م.

فهرس المحتويات

إهـــداء.....

شكر وعرفان .....

مقدمة .....أ

مدخل ..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الأول: ماهية علم النحو 5

المبحث الأول: مفهومية النحو 8

المطلب الأول: مفهوم النحو 8

المطلب الثاني: نشأة علم النّحو 12

المطلب الثالث:أصول النحو 17

المبحث الثاني: المدارس النحوية..... 25

المطلب الأول: المدرسة البصرية 25

المطلب الثاني:المدرسة الكوفية 29

المطلب الثالث:المدرسة البغدادية 33

المطلب الرابع:المدرسة المصرية 36

المطلب الخامس:المدرسة الأندلسية 38

الفصل الثاني: تقاطع النحو بالمعنى والتفسير.....

المبحث الأول: علاقة النحو بالمعنى..... 39

المطلب الأول: تقاطع النحو باللفظ 39

المطلب الثاني: تقاطع النحو بالمعنى 44
المطلب الثالث: تقاطع النحو بالتفسير..... 47
المبحث الثاني: نماذج تطبيقية آيات قرآنية 50
المطلب الأول:أثر تعدد الأوجه الإعرابية في تفسير آيات من سورة التوبة..... 50
المطلب الثاني: أثر تعدد الأوجه الإعرابية في تفسير آيات من سورة يوسف 58
الخاتمة..... 65
قائمة المصادر و المراجع..... 70